مكبث

وليم شكسبير

ترجمة : محمد فريد أبو حديد

دار المعارف بمصر



وليم شكسبير

ترجمها وقدم لها

محمد فريد أبو حديد



ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . ع . م .

مقدمة

يظهر شكسبير شاعر إنجلترة وسط عصره كصورة فذة فى عصر فذ، فبلاد الإنجليز التى يعرفها العالم اليوم وعرفها العالم بالأمس بكل ما لها وكل ما عليها ، لم تبدأ تاريخها إلا منذ عهد قريب نسبياً ، وإن كان الإنجليز مثل سائر الأمم يحاولون أن يتحدثوا عن تاريخهم القديم الممتد إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام . هى قطعة من العالم عاشت أمداً طويلاً كجزيرة صغيرة فى الطرف الشمالى الغربى من أوربا ، تمد نحو القارة الأوربية طرفاً يمتاز بسهولة أرضه ، ونضرة مراعيه ، وقلة عصف الثلوج به ، فى إقليم الشمال البارد التى تجتاحه الأعاصير وتغطيه الثلوج فى كثير من شهور العام . فكانت قبائل القارة كلما اشتد عليها ضغط المغيرين من ناحية الشرق تنزاح أمامها نحو الغرب فتعبر البحر الضيق وتجد أمامها سهل إنجلترة الشرقى الأخضر فتأخذه غنيمة سهلة تأمن فيه من أعدائها المطبقين عليها من قاب القارة .

فتاريخ إنجلترة القديم لا يزيد على سلسلة من الإغارات يتلو بعضها بعضاً على مدى ألوف من السنين . وكانت تلك القبائل التى تحل بالسهل الساحلى تنساح فى الأرض فيما يليها من الأرض ، إلى أن ترتطم بالجبال العالية والغابات الكثيفة والمستنقعات الكثيرة ، التى تقع فى وسط الجزيرة

وغربها ، وتقوم الحروب الطويلة على حدود تلك الجبال وفى ثنايا الغابات، لا تكاد تنقطع حتى تتم الغلبة للمغيرين فيجتاحون أقاليم الغرب والشمال أو يصدون عنها فيستقرون حيث هم فى الجنوب والشرق . فالشعب الإنجليزى مستمد من هذه الموجات المتعاقبة من الغزاة ، وكل موجة منها لا تكاد تستقر حتى تليها موجة أخرى من غزاة يجتاحون الأرض، ويصيرون سادتها ، بحكم الغلبة وقانون النضال المستمر بين الأحياء . وأهم شعب غلب على الجزيرة منذ القدم ، هو شعب الكلت الذى ما تزال بقاياه فى إيقوسا (أسكتلندة) وفى غالة (ولز) وأيرلندة . وأول شعاعة من النور تلقى على هذه العصور البعيدة هى غزوة قيصر ، قبيل ميلاد السيد المسيح ، ثم استيلاء روما نهائيًّا على الجزيرة فى أيام كلوديوس، بعد مائة عام من غزوة قيصر . على أن هذه الشعاعة لم تلبث أن اختفت عند ما بدأت إغارات القبائل الشمالية عليها بعد نحو ثلثمائة عام من ميلاد المسيح ؛ ولم تنقطع تلك الإغارات المتوالية عن الجزيرة على مدى سبعة قرون بعد ذلك، وتخللها هجرات أخرى من أجناس شتى كان كل منها يضيف عنصراً جديداً إلى أهل الجزيرة ، ويخلف أثره فى دماء أهلها ولغتهم وعاداتهم. وأهم هذه العناصر الطارئة بعد الفتح الرومانى هم قبائل الإنجليز والسكسون المنحدرين من سلالات الشمال .

ولسنا هنا بسبيل الحديث عن تاريخ إنجلترة إلا بمقدار ما نبين أن آلاف السنين الممتدة وراء القرن الحادى عشر الميلادى لا تكاد تسجل إلا

سلسلة متصلة من موجات غزو وهجرة ، تتخللها دول صغيرة يحكمها ملوك أشبه برؤساء للمقاطعات التى يبسطون سلطانهم عليها . وكانت تثور بين هؤلاء الملوك منازعات دموية، لا تفتر إلا حينما تصدمهم غارة جديدة من جنس جديد، فتستمر الحروب بين المغيرين وبين الذين سبقوهم إلى الجزيرة ، حتى تنتهى بوضع جديد يضيف إلى نظام الجزيرة إضافة جديدة .

فلما جاء القرن الحادى عشر ، أقبل الأمير وليم النرماندى المعروف بوليم الفاتح ، ومعه أتباعه من الأمراء والفرسان، فهزم آخر ملوك الجنوب فى عام ١٠٦٦ ، ومن ذلك الوقت بدأت حقبة جديدة فى تاريخ إنجلترة.

أتى وليم الفاتح وفرسانه من مقاطعة نرمانديا فى شمال فرنسا ، وكانت لغتهم فرنسية ، ونظامهم فى الحكم والحروب جارياً على مألوف ذلك العصر وهو ما نسميه بالنظام الإقطاعى. والنرمان من سلالة قبائل الشمال مثل الإنجليز والسكسون ، ولكنهم كانوا معروفين عند ذلك بالشدة والقسوة والشجاعة . فلما هزموا الإنجليز انساحوا فى الجزيرة ، يقتلون ويدمرون ، إلى أن بلغوا حدود إيقوسا شمالاً وحدود غالة غرباً ، وأقاموا فى ذلك الإقليم نظاماً إقطاعياً كانوا فيه هم السادة ، وأخضعوا سكان البلاد الأصليين لحكمهم إخضاعاً شديد الوطأة؛ فيمكننا أن نقول إن حكم النرمان لإنجلترة فى أول أمره كان حكم استعمار قائم على سلطان أقلية حاكمة على شعب مستعبد . وكان السادة يتكلمون الفرنسية ، فى حين كان

أهل الجزيرة القدامى يتكلمون لغات شتى من كلتية وإنجليزية سكسونية ولهجات أخرى متباينة ، كل منها يعكس صورة غزوة من الغزوات القديمة ، واقتسم الأمراء النرمان أرض الجزيرة على النظام الإقطاعى، وأصبح الشعب فى كل إقطاعة خاضعاً لحكم أميره الذى يتصرف فى شئونه تصرف الحاكم المطلق ، بل لقد صار الشعب أشبه بعبد قن، لا يملك لنفسه حرية ، حتى إنه كان لا يملك الحق فى الانتقال من ربقة سيد من الأمراء إلى ربقة سيد آخر .

ومما يمكن ذكره فى هذه المناسبة أن قصة مكبث تقع حوادثها فى بلاد إيقوسا قبيل قدوم النرمان إلى إنجلترة . فالملك دنكان كان يحكم إيقوسا على نظام يشبه النظام الإقطاعى الذى كان سائداً فى ذلك العهد، وكان مكبث أحد أمرائه الكبار . وكان له فضل عظيم فى صد إحدى غزوات قبائل الشمال عن إيقوسا ولما قتل دنكان، ذهب ولده ملكولم إلى إنجلترة ، حيث نزل ضيفاً على الملك الإنجليزى إدورد المعروف بالتقى أو الراهب ، وكان حكمه من دواعى التمهيد لغزوة النرمان لإنجلترة .

وقد كان النرمان فى مبدأ أمرهم وثنيين ، ثم تركوا عبادة آلهتهم « ودن » و « ثور» ، واعتنقوا المسيحية على مذهب الفرنج أهل فرنسا. فلما استقروا بإنجلترة عينوا رؤساء للدين يخضعون لسلطانهم ، وكان من بين هؤلاء الرؤساء الدينيين جماعة من أمراء الإقطاع النرمانديين .

وهذا الامتزاج بين رجال الدين والحرب يفسر إلى حد كبير تلك

الحماسة الدينية المتقدة ، التى كانت تحرك ملوك إنجلترة النرمانديين للتجرد للحرب الصليبية . ومن ملوك هذا العصر النرماندى الملك رتشارد المعروف بقلب الأسد ، وهو المعروف بمصادماته مع الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى فى مواقع فلسطين .

فمن أعجب قصص التاريخ قصة تطور إنجلترة منذ أيام القرن الحادى عشر عندما كان شعبها محطماً يحكمه وليم الفاتح وفرسانه القساة الغلاظ ، وتكونها شيئاً بعد شىء كما تتكون الفراشة فى شرنقتها وهى بعيدة عن الأنظار ، كى يخرج منها فى مدى ثلاثة قرون أو أربعة شعب له لغة وتقاليد اجتماعية وسياسية ، ويبدأ السير على الطريق التى انتهت به أخيراً إلى حكم الملكة إليزابث وعصر شكسبير فى أواخر القرن السادس عشر .

فإذا شئنا أن نتتبع سلك هذه القصة ، كان علينا أن نتلمس فى شعاب ملتوية متداخلة ، بعضها متصل بحركة النهضة التى عمت أوربا فى عقب العصور الوسطى المظلمة ، وبعضها متصل بحوادث الحروب والسياسة فى داخل إنجلترة وخارجها ، وما كان لنا أن نوغل فى تلك الشعاب التى تخرج بنا إلى غير قصدنا الذى نقصد إليه فى هذه الكلمة ، وبحسبنا أن نلم إلماماً عابراً بالمعالم الكبرى التى تحدد سلك تلك القصة ، وهى حركة النهضة واتصالها بإنجلترة عن طريق الجامعات وحركة التطور البطىء التى تمخضت عنه نشأة اللغة الإنجليزية ، ثم المفاجأة

التاريخية الكبرى التى فتحت أنظار أوربا فجأة على إنجلترة كقوة سياسية خطيرة .

لم يكن من المصادفة أن تنشأ الجامعات فى أوربا بادئة فى إيطاليا ثم منتشرة بعد ذلك إلى فرنسا وسائر أنحاء العالم المسيحى ، فقد تفتحت عيون أوربا لفكرة الجامعات فى أعقاب الحرب الصليبية الأولى . والمؤرخون الأوربيون يجمعون على الأقل على أن تقليد المسلمين كان له نصيب فى فضل إنشاء الجامعات الأوربية . ولكننا لا نكاد نجد سبباً آخر يمكن أن يعزى إليه إنشاء جامعات أوربا غير التشبه بالمسلمين فى جامعاتهم الكبرى مثل الزيتونة بتونس والأزهر بمصر . ولا شك فى أن معاهد الدراسة العليا فى جوامع الأندلس كانت تحت أنظار أهل أسبانيا من المسيحيين الذين بدأوا ينقضون بناء دولة الأندلس الإسلامية منذ القرن الحادى عشر — أى منذ بدء فكرة الحروب الصليبية .

واسم الجامعة نفسه باللغات الأوربية لا يمكن تفسيره بأصل من الأصول القديمة عند الرومان أو اليونان، فإن سقراط وأفلاطون وأرسطو لم يعرفوا شيئاً اسمه الجامعة ، وكانت دراساتهم أشبه شىء بحلقات المريدين الذين يلتفون حول شيخ طريقتهم ليأخذوا عنه الفلسفة، بغير نظر إلى تخرج أو بلوغ مرتبة معينة من مراتب العلم . وأول من درس العلوم بقصد تخريج طبقات من المتعلمين وطبقات من العلماء، وأول من عرف نظام الإجازة ، وهى منح الدرجات العلمية ، إنما هى معاهد العلم الإسلامية

التى كانت عادة تنشأ فى المساجد الجامعة . أفلا نرى إذن فى لفظ (università) الإيطالية ومرادفاتها فى اللغات الأوربية الأخرى صدى ينم عن معنى الجمع والتعميم الذى يدل عليه لفظ المسجد الجامع فى الإسلام؟

ومهما يكن الأمر فإن نشأة الجامعات الأوربية تتسم بسمة المعاهد الإسلامية ، من حيث إن أول إنشائها كان متصلا بدراسات الفلسفة الأرسطاطاليسية ، وهى الفلسفة التى ترجمها العرب إلى لغتهم واتخذوها أساساً لدراساتهم الفلسفية . وكانت الجامعات الأوربية تدرس فوق ذلك علوم الرياضيات والطب المأخوذة عن العرب نصًّا .

وكانت إنجلترة من آخر بلاد أوربا اتصالا بحركة البعث العلمى ، فلم تبدأ بها الجامعات إلا عندما أغلقت أبواب جامعة باريس فى وجوه الطلاب الإنجليز عند ما فسدت العلاقات بين ملوك إنجلترة وملوك فرنسا فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد . فعند ذلك عادت طائفة من الإنجليز من طلاب جامعة باريس إلى إنجلترة، واختاروا مكاناً وسطاً فى جنوب بلادهم ، وهى أكسفورد ، ليكون مقرًّا لدراساتهم .

ولم يكن اجتماعهم هناك للدراسة بمثابة إنشاء لجامعة بالمعنى الصحيح ، فإنهم لم يزيدوا على اختيار بقعة فيها عدد من الغرف يستطيع كل ستة منهم أن يقيموا فى واحدة منها . وأما الدراسة فكانت تقام فى مواضع متفرقة يجتمع فيها الأستاذ مع تلاميذه ليقرأ عليهم من كتاب ، وهم جلوس أمامه على الأرض .

وكانت الكنائس كثيراً ما تتخذ أماكن مركزية تؤدى بها الوظائف الجامعية . وإلى جانب هذه البقعة أنشئ عدد من الحانات يجتمع فيها الطلاب ، فيقصفون ويشربون ويغنون أو يتعاركون . وعندما ضاقت أكسفورد بتلاميذها ، هاجرت طائفة منهم إلى مكان آخر ، فأنشئت الجامعة الثانية الزميلة وهى كمبردج . ويقال إن إنشاءها كان نتيجة لهجرة اضطرارية لبعض طلاب أكسفورد ، على أثر معركة دامية بينهم وبين أهل مدينتهم .

من هذه الأصول الصغيرة بدأت نهضة علمية متعثرة ، استمرت فى سيرها لا يسندها مال ولا تعززها حكومة ، وكان تلاميذها جميعاً من أبناء الفقراء والفلاحين الذين أرادوا التزود من العلم لينبه شأنهم ، ويرتعفوا من مرتبة القن إلى مرتبة الرجل الحر . وأما أبناء الأغنياء والأعيان والأمراء فكانوا يأنفون فى ذلك العصر أن يجلسوا فى مقاعد التعليم . وكانت الخطوة الأولى فى سبيل الالتحاق بإحدى الجامعتين أن ينخرط الطالب الصغير فى سلك خدمة الكنيسة ليصير فيما بعد من رجال الدين .

على أن مسلك الطلاب فى هاتين الجامعتين عند أول إنشائهما كان يختلف كل الاختلاف عما آل إليه فيما بعد ، فقد كانتا مثالاً للفوضى والاضطراب لا تخضعان لنظام ، بل لقد عمتهما موجة تشبه الإباحية الوثنية التى تأثر الطلاب بها فى دراساتهم لآداب اليونان والرومان الوثنية . على أنهم مع هذا كونوا مجموعة من شباب مثقف ثقافة تفوق ما كان

معهوداً فى البلاد من قبل . وكان من أهم مظاهر حياتهم التعلق بالحرية والجهاد فى سبيلها ، وإليهم يرجع كثير من الفضل فى حركات التحرر التى كانت مظهراً من مظاهر التطور فى الشعب الإنجليزى من القرن الثانى عشر إلى الخامس عشر للميلاد .

وبدأت الجامعتان القديمتان تمدان جذورهما فى الأرض منذ أواخر القرن الثالث عشر ، عند ما فطن الناس إلى ضرورة مساعدة طلاب الجامعتين وحماية صغارهم من الفوضى ، فأنشئت منازل الطلاب تحت إشراف الأساتذة، وهى التى تعرف فى إنجلترة باسم الكليات (Colleges)

وقد كان هذا الإصلاح فى أغلب الظن مأخوذاً عن الجامعات الإيطالية ، التى لم تبتدعه بنفسها لأنه كان هو النظام القائم فى الجامعات الإسلامية مثل الجامع الأزهر ، حيث كان الطلاب يقيمون فى أروقتهم تحت إشراف الموكلين بتعهد أحوالهم من الموظفين أو الأساتذة .

وقد زادت عناية الدولة بالجامعتين شيئاً بعد شىء ، حتى صارت فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر مؤسستين تملكان من الأموال والأوقاف ما جعلهما نموذجاً للجامعات فى العالم أجمع .

وما من شك فى أن النهضة العلمية التى بدأت تدب لأول مرة فى هاتين الجامعتين ثم أخذت تقوى وتشتد على مر الزمان ، كانت من أكبر العوامل على تكوين العقلية الجديدة ، وعلى إحداث الحركة الأدبية القوية

التى نشأ عنها خلق اللغة الإنجليزية ونهضة الشعب فى مجموعة لبدء حياته الجديدة .

على أن النهضة الفكرية والأدبية لم تقتصر على نشاط الجامعتين وأساتذتهما وطلابهما ، بل كانت إنجلترة كسائر بلاد أوربا تهتز اهتزازاً شديداً مع حركة النهضة الشاملة التى بدأت فى أوربا عند القرن الحادى عشر واشتدت فورتها تدريجاً على مدى القرون التالية حتى بلغت جماحها فى القرن السادس عشر ، وهو القرن الذى شهد مولد شكسبير . ذلك أنه قد ظهر فى هذه القرون عدد من رجال الدين المتصوفة الذين كانوا يدعون الناس إلى الزهد فى الدنيا والتمسك بالدين ، ويخوفونهم من عذاب النار ويرغبونهم فى نعيم الجنة متخذين فى دعوتهم أقرب الطرق إلى أفهام العامة . فكانوا يخاطبونهم بلهجاتهم العامية ، وكثيراً ما كان الواعظ يعتذر عن كتابته باللغة القومية الإنجليزية بأنه لا يستطيع أن يخاطبهم باللغة اللاتينية البليغة ، مع أنه قادر عليها .

وقد حدث تغير خطير فى أثناء القرن الرابع عشر عندما تحولت لغة التعليم فى المدارس من اللغة اللاتينية إلى اللغة القومية ، وأصبحت اللاتينية تدرس على أنها لغة فصحى يتعلمها الأولاد كلغة قديمة استعداداً لمواصلة الدراسة العليا التى بقيت على صبغتها اللاتينية إلى مدى أطول .

وعكف كثير من الكتاب على الترجمة عن الفرنسية ، وعن اللاتينية بنوع خاص ، فنقلوا إلى اللغة الإنجليزية طائفة كثيرة من المؤلفات

الأدبية القديمة . فكانت هذه الجهود كلها تتجه نحو إرجاع مكانة اللغة الأنجلوسكسونية إلى ما كانت عليه قبل أن يفتح النرمان إنجلترة، وينزلوا اللغة القومية إلى مرتبة دنيا ، لتكون لغة الخدم والفلاحين أشباه الأرقاء .

وإذا كان التعليم فى الجامعتين الإنجليزيتين قد استمر على سنة التمسك باللغة اللاتينية ، كما كان الحال فى كل جامعات أوربا فى ذلك العصر ، فإن خريجى هاتين الجامعتين ممن نبغوا فى العلم والدين والأدب أخذوا يتحررون شيئاً فشيئاً من نظرة التقديس القديمة للغة اللاتينية عندما شعروا بالحاجة إلى إبلاغ ما يكتبون لعامة الشعوب . وبدأ التحرر بمحاولات شتى للكتابة باللغة الفرنسية، ثم بمحاولات للكتابة بمزيج من الفرنسية والأنجلوسكسونية ، ثم تدرج الأمر على توالى الزمن إلى الكتابة باللغة العامية التى يتكلمها الشعب ، وهى لا تكاد تمت بصلة إلى اللاتينية . فظهر فى الشعر مثلا الشاعر « تشوسر » ، كما ظهر كثير من الكتاب المتحمسين للدعوة الدينية ، الذين رأوا نجاحهم فى دعوتهم متوقفاً على استخدام لغة الشعب . وترجم الإنجيل إلى تلك اللغة ، كما ترجمت إليها طائفة من الأدعية الدينية اللاتينية. وكان إنشاء المطابع عاملا قوياً فى شيوع استعمال اللغة الأنجلوسكسونية ، إذ أنشئت أول مطبعة فى إنجلترة فى سنة ١٤٧٦ ؛ أنشأها « وليم كاكستون » بقرب دير « وستمنستر » .

وقد ولد شكسبير فى عام ١٥٦٤، أى بعد أقل من مائة عام من إنشاء

هذه المطبعة الأولى . وبعد أقل من مائتى عام من المحاولات الأولى فى استخدام اللغة الأنجلوسكسونية . فلنذكر إذن أنه عندما بدأ شكسبير فى كتابة رواياته ، كانت اللغة التى نسميها الإنجليزية ما تزال فى دور التكوين ، لم تتضح بعد معالمها ، ولم تستقر بعد قواعدها ، ولم تتخذ ألفاظها دلالاتها المحددة التى يعرفها الإنجليز اليوم ، وكان شكسبير على ذلك من نوابغ الأدباء الذين لهم فضل كبير فى تشكيل تلك اللغة ، التى كانت فى يديه كقطعة المعدن اللين بعد خروجها من البوتقة لم تتخذ بعد صورة معينة ، وكان عليه أن يقلبها بين يديه من وضع إلى آخر قبل أن يصوغها فى القالب الذى يريده . وكان من الطبيعى أن تتعرض اللغة فى أثناء ذلك لأوضاع مضطربة أو نابية، عند ما كان يلويها قسراً ليعبر بها عن معنى فى نفسه، مبتكراً عبارات لم يسبقه إليها أحد. وقدكان من الطبيعى كذلك أن تعبيرات شكسبير تشتمل على الرائق المعجب الذى بقى خالداً فى اللغة، كما تشتمل على الرث المهلهل الذى أهملته العصور التالية ولم تبق عليه. ومن أجل هذا كانت لغة شكسبير من بعض نواحيها أساً من أكبر أسس اللغة الإنجليزية ، كما كانت من نواح أخرى لغة قائمة بنفسها أو كما يسمونها لغة شكسبيرية. وكثيراً ما تكون العبارة التى يصوغها شكسبير من الالتواء والتعقد بحيث لا يستطيع نقاد الأدب أنفسهم أن يهتدوا إلى حقيقة المراد منها، وقد تكون غامضة غموضاً يجعلهم يختلفون اختلافاً شديداً فى حقيقة المقصود منها .

على أن هذه النهضة الفكرية والأدبية ، وما انبعث من الجامعتين الإنجليزيتين على عظم شأنه،وما صاحب ذلك من حركة إصلاحية تناولت الدين والتفكير واللغة جميعاً ، لم تكن وحدها لتجعل لإنجلترة الصغيرة ذلك الشأن الذى بلغته بين دول العالم فى القرن السادس عشر وما بعده . ومن الواجب أن نحترس احتراساً شديداً عند دراسة تاريخ الأمة الإنجليزية ، إذ قد نقع فى الخطأ ونحسب أنها كانت حقاً رائدة الحرية الفكرية والسياسية منذ فجر عهد النهضة. وإذا ذكرنا هبّة إنجلترة فى أيام الملك « جون » الأول واضطرار الملك إلى توقيع وثيقة « الماجنا كارتا » فينبغى أن نذكر أنها كانت هبة الأمراء الإقطاعيين ضد ملكهم لكفالة حقوقهم وتحديد سلطان الملك عليهم ، ولم تكن بحال من الأحوال انتصاراً لشعب أحرز حريته بالمعنى الصحيح .

فلم يكن المقصود عند ذلك كفالة حريات الشعب بل حريات « الرجل الحر» الذى كان يقصد به الأمراء وأتباعهم ورجال الدين وأغنياء التجار والأعيان . وقد بقى الفلاحون وهم سواد الشعب أشباهاً للأرقاء ، ويطلقون عليهم نعت ال (Villains) وهو نعت رسب اليوم فى اللغة الإنجليزية وصار معناه « النذل الحقير» . والحقيقة أن تطور المجتمع الإنجليزى كان وليد القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وكان ناشئاً من المصائب والكوارث المتعاقبة التى حلت بإنجلترة فى وقت واحد تقريباً . فقد اندلعت حرب مدمرة بين إنجلترة وفرنسا منذ سنة ١٣٣٧ ،وأعقبها

تفشى الوباء الذى يسمونه الوباء الأسود . ولم تنته الحرب إلا عام ١٤٥٣، كما استمر الوباء إلى القرن السابع عشر . ولم تنته الكوارث عند هذا ؛ بل زادها اندلاع حرب داخلية مدمرة بين حزبين متنافسين من الأمراء، وهى حرب الوردتين . فكانت مصادمات الأمراء وأتباعهم فى هذه الحرب سبباً فى هلاك الكثيرين من زعماء الحزبين كما كانت سبباً فى كثير من الدمار لحياة البلاد الاقتصادية . كان كل من الحزبين إذا حاز انتصاراً أوقع القتل بأنصار الحزب المنافس، ثم يرتد على ضياعهم وأموالهم فينزعها غنيمة مباحة . ولكن الخسارة التى حلت بالأمراء وأتباعهم من الفرسان كانت أعظم بكثير من الخسائر التى حاقت بالشعب نفسه ، إذ كان كل من الحزبين يحرص على إبعاد الشعب عن منازعاته مع منافسيه ، وهذا يشبه ما كان يحدث فى مصر بين أحزاب أمراء المماليك من المعارك التى كانوا يعمدون فيها إلى البعد عن الشعب نفسه ، فلما انتهت تلك الحرب كانت قد استنفدت أكابر الأمراء فى الجانبين وقضت على شوكتهم ومهدت السبيل أمام ملوك الإنجليز فى المستقبل ليحكموا حكماً مطلقاً لا ينازعهم فيه الأمراء الأقوياء . وهكذا كانت الحوادث عاملا قوياً على توطيد سلطان أسرة « تيودور » التى آل إليها الحكم فى أعقاب حروب الوردتين .

ولهذه الأسرة الفضل فى نشأة دولة إنجلترة الحديثة وفى خلق الأمة الإنجليزية من العناصر المختلفة التى يتكون منها شعب بريطانيا .

فالمصائب التى حلت بإنجلترة كانت فى الحقيقة لطفاً خفياً بشعبها مع كل ما جرته عليها من الآلام والخسائر .

هبط عدد سكان إنجلترة من أربعة ملايين إلى نحو مليونين ونصف ، واستنزفت ثروة الكثير من الأمراء . وكان من أثر هذا أن الفلاح الإنجليزى المستعبد بدأ يتحرك لأن اليد العاملة قلت وارتفعت قيمتها . واضطر الأمراء إلى أن يعطوا ذلك الفلاح أجراً على عمله فى أرضهم بعد أن كان يسخر لها . فرأى الأمراء أن يستبدلوا بالزراعة رعاية الأغنام تخفيفاً من عبء أجور العمل . ثم دعت الحاجة إلى صناعة صوف الأغنام فخطت إنجلترة أول خطاها نحو التصنيع .

وفى هذه الحقبة المضطربة بالنزاع بين الشعب والسادة، ولد شكسبير ؛ فهو وليد عصر ثائر قلق ، وفى حياته دلائل شتى تشير إلى الثورة والقلق ، بل لقد كاد شعوره الثائر يؤدى به إلى السجن فى أيام شبابه الأول . قيل إنه اعتاد مع بعض رفاقه أن يستبيحوا حمى أحد السادة الإقطاعيين فى إقليمه ليصيدوا منه الغزلان أو الأرانب ، وكان هذا يعد فى وقته جريمة يعاقب عليها . ولا نظنه فعل ذلك إلا تحدياً لذلك السيد مدفوعاً برغبته فى إزالة الحدود الإقطاعية البغيضة .

وقد حدثت المفاجأة الكبرى التى رفعت إنجلترا إلى المجد على غير انتظار فى عام ١٥٨٨ ، وكان شكسبير عند ذلك فى فورة شبابه ، إذ

انتصرت الجزيرة الصغيرة الفقيرة على أعظم دولة فى وقتها وهى أسبانيا . التى كانت فى ذلك الوقت تمتطى بقوتها المحيط الأطلسى ، واطئة بإحدى قدميها غرب أوربا ، وبالقدم الأخرى سواحل القارة العظيمة التى كشفها لها « خريستوف كولمب » وهى أسبانيا الجديدة التى نعرفها اليوم باسم أمريكا .

وكان فليب ملك أسبانيا يطمع فى أن يبسط سلطانه على القارة الأوربية ، ويذل كبرياء الجزيرة الصغيرة التى تجرأت فى أيام ملكها الفظ هنرى الثامن « والد إليزابث » على أن تتحدى سلطان البابا نفسه ، وترفع رأسها فى وجه ملوك أوربا . وانتهى الأمر بالملك الأسبانى إلى أن جهز أسطولا عظيماً ليضرب به إنجلترة ضربة قاضية . ولكن الجزيرة الصغيرة استطاعت أن تهزم « الأرمادا » الأسبانية ، إذ اجتمع لها حسن الحظ ومساعدة الرياح العاصفة ومهارة قادة سفنها المحنكين أمثال « دريك » و « هوكنز » . وعادت فلول الأسطول الأسبانى ، وهى لا تزيد على نصف ما جهزه الملك العظيم ، بأشنع هزيمة بحرية عرفت فى تلك العصور بعد أن خلفت وراءها موقعة حاسمة من مواقع التاريخ . فمنذ ذلك الوقت أصبحت إنجلترا سيدة البحار ، واستمرت كذلك إلى عهد قريب ، فكأن موقعة « الأرمادا » أكسبتها سيادة أوربا أو سيادة بحار العالم كله نحو ثلثمائة وخمسين عاماً .

فعندما بدأ شكسبير حياته الأدبية ، كان الشعب الإنجليزى قد

أحدث لنفسه لغة قومية ، وإن كانت ما تزال بعد فى دور التكون والتطور ، وكان نسيم الحرية قد بدأ يهب على الطبقة المطحونة التى بدأ نير أمراء الإقطاع ينزاح عن رقابها ، وكانت النهضة الفكرية قد اشتدت وانحدر تيارها إلى غمار الشعب بفضل شيوع الطباعة ، وكانت إنجلترة قد نجت من محاولة السيطرة عليها وصارت لها قوة بحرية ذات صيت ذائع ، تملأ قلوب الإنجليز ثقة بأنفسهم وجرأة على خوض المغامرات السياسية والحربية .

وبالرغم من أن دخل الدولة الإنجليزية فى ذلك العصر لم يزد على نصف مليون من الجنيهات ، فإنها صارت دولة فتية تتطلع إلى ما وراء البحار لتفتح لتجارتها أسواقاً جديدة ، ولتستولى على كنوز الأرض التى استأثرت بها أسبانيا والبرتغال فى آسيا وأفريقيا .

فلا عجب إذا كان شكسبير يتجه بعبقريته إلى ميادين التاريخ الذى خرجت منه إنجلترة ، وأن يغترف من الأساطير القديمة التى صارت فى متناول يده مترجمة عن اللغات القديمة مثل تاريخ « پلوتارك » أو من اللغات الأوربية الأخرى ولا سيما إيطاليا ، ويخلق من كل ذلك إنتاجاً تتمثل فيه هزة إنجلترة الجديدة نحو مستقبلها المجهول .

على أن هذه الظروف التى اجتمعت وساعدت على إظهار عبقرية الشاعر شكسبير لم تقصر فضلها عليه ، فإن هذا العصر عصر الملكة

إليزابث يمتاز بمجموعة من نوابغ الأدباء قل أن يجتمع مثلهم فى عصر واحد . فقد نبغ فيه سلاسل من عظماء الشعراء والقصاصين وكتاب المسرح فى شتى فنون التعبير ، بعضهم سابق لشكسبير وبعضهم معاصر له أو لاحق به ، وهم صنوف شتى ، فمنهم الممتاز بسعة اطلاعه على الآداب القديمة ، ومنهم المتبحر فى المعارف من خريجى الجامعتين ، ومنهم الموهوب فى الإبداع من بين المثقفين أعلى ثقافة . ومن الحق أن نقول إن ظهور شكسبير كان مثار دهشة وغيرة وزراية من كثير من فحول الأدب الذين سبقوه فى الميدان أو عاصروه . وكان من أكبر مآخذهم عليه أنه كان شاباً مغموراً لم يعرف أبواب الجامعة ، بل إنه لم ينل حظاً من التعليم المستقر فى المدارس ، ولم يكن له عمل مرموق فى مهنة ، بل تدرج فى المسرح من أقل مراتبه . وكان فوق كل هذا فى مبدأ أمره غريباً عن العاصمة وقد جاءها هارباً من موطنه إما لفقره . وإما لخوفه من الأمير الإقطاعى الذى كان يبسط سلطانه على مسقط رأسه ، وهى مدينة « ستراتفود — أن — إيفن » . وقد أتى إلى لندن فى عام ١٥٨٥ وهو فى سن الحادية والعشرين ، وكانت لندن عند ذلك غاصة بمن فيها من أكابر الأدباء الذين كانوا يطربون العاصمة بأناشيدهم ، أو يهزون المسارح برواياتهم ، كما ازدحمت بعناصر متضادة بين أدباء خلعاء ، يعبدون آلهة الخمر واللذة ، وبين رجال دين متحمسين للزهد فى ملذات الحياة والنجاة بأنفسهم من عذاب السعير .

ومما يسترعى النظر فى هذا العصر اختلاف لغة الكتاب اختلافاً واضحاً ، فيكاد يكون لكل كاتب طريقته فى اللغة والتعبير ، لا فى الأسلوب والطريقة فحسب ، بل فى بناء التعبير نفسه . ولعل ذلك هو الأثر الطبيعى لعصر لم تتخذ اللغة فيه بعد صيغتها النهائية المستقرة .

وكان من مظاهر الأدب فى ذلك العصر شيوع استخدام الشعر فى مقاصد أدبية لا يستخدم الشعر فيها عادة . فكما أن الشاعر كان يتغنى بالشعر ، كان الناقد كذلك ينتقد شعراً ، والمصلح الدينى يكتب زهدياته شعراً ، والكاتب القصصى يكتب قصته شعراً . ولهذا كادت الروايات التمثيلية فى ذلك العصر تكون كلها شعرية إذا استثنينا ما ألفه رائد النثر « چون لـيـلـى» الذى استعاض عن الشعر بأسلوب متأنق يكثر فيه ما يشبه الجناس والسجع . فلم يكن شكسبير إذن مبتدعاً فى رواياته عند ما جعلها شعرية ، واستخدم فيها لوناً من الشعر غير المقفى وهو الشعر المرسل ، الذى يقترب فى تحرره من النثر ويمتاز بموسيقى الوزن . وقد استمر استخدام الشعر فى تأليف الروايات التمثيلية عهداً طويلا بعد شكسبير إلى أن صقل الكتاب أسلوب النثر وجعلوه شيئاً فشيئاً أداة طيعة للتعبير الأدبى .

ومما يفسر إقبال الأدباء الإنجليز فى ذلك العصر على اتخاذ أسلوب الشعر وسيلتهم الأدبية ، أن إنجلترة كانت إذ ذاك فى معمعة شعورية ، خارجة من واحدة ومقبلة على أخرى . كانت الظروف التى مرت بها

والكوارث التى أصابتها فى الماضى تبعث فى أدبائها هزة قوية غير عادية ، وكانت الظروف التى تحيط بها والنهضة العارمة التى كانت عند ذلك تجتاح كل بلاد أوربا — كان كل ذلك يحدث فى نفوس الأدباء قلقاً شديداً . وكانت أسرار الآداب القديمة وعلوم اليونان وفلسفاتهم تخرج للناس نفائس كثيرة من كنوزها الدفينة تحت أطباق العصور ، فتخطف أبصارهم بطرائفها التى لم يسبق لهم عهد بها ، فكانت الأمطار تصطدم كل حين وحين بمعان جديدة وحقائق جديدة .وصارت الحياة أمام الأدباء كأنها لغز يتفتح ويتكشف شيئاً بعد شيء ، فيثير دهشتهم إثارة شديدة ، وبدا الكون لهم كما يبدو للأطفال مليئاً بالأسرار كأنه عالم سحرى ، وكلما كشفوا لأنفسهم سرًّا منها خيل إليهم أنهم أول من اطلع عليه ، فتشيع فيهم غبطة الرائد إذا طلعت عليه الآفاق المخبوءة . وكان المستقبل يلوح أمامهم مزدحماً بالاحتمالات والأخيلة ، من عالم أرضى فسيح كان من قبل مخفيًّا ، وعالم فكرى فسيح كان من قبل مجهولا . ثم رأوا دولتهم الصغيرة تخرج منتصرة من حرب هائلة مع دولة عملاقة كانت تهدد وجودها ، ورأوا أن القيود التى كانت تكبل الشعب قد بدأت تتحطم . فكان كل ذلك يبعث فى قلوب الأدباء مشاعر أقوى من أن تحملها أساليب النثر الهادئة ، فلجأوا إلى الشعر بصوره السحرية وألوانه الخلابة التى تحجب وراءها عالماً محجوباً يوائم العالم المحجوب الذى كانوا يرمقونه من بعيد .

وكان التمثيل منذ أول عهد النهضة تسلية محبوبة للشعوب الأوربية حتى إن رجال الدين كانوا يعرضون مشاهد المواعظ فى قالب تمثيلى للتأثير فى عامة الشعب . وتطورت وظيفة المسرح تدريجاً مع احتفاظها بطابعها الأول وهو طابع التأثير فى جماهير الشعب ، وتنوعت المعروضات تبعاً لروح العصر ، فساير المسرح اتجاهات الأفكار فى كل زمن ، متنقلا من القصص الدينية إلى القصص الأخلاقية فالقصص المأخوذة عن الأدب القديم الرومانى أو عن الإنجيل والتوراة .

فلا عجب أن يكون المسرح الإنجليزى فى ذلك العصر مآباً للناس جميعاً من عامة وخاصة،وأن يبقى محتفظاً بهذه الميزة على توالى العصور . ومما يلاحظ أن المسرح الإنجليزى احتفظ بشعبيته مدة أطول من المسارح الأوربية الأخرى التى عاجلها التطور فصارت مسارح للخاصة ولا سيما فى فرنسا .

وإذا تأملنا ما كان يعرض على الناس فى مسارح إنجلترة فى القرن السادس عشر استرعى انتباهنا ما كان عليه من البساطة التى تبلغ حد السذاجة سواء فى تركيب القصة ومبناها أو فى موضوعها ومعناها . بل لقد كان الموضوع الذى يعرض لا يزيد فى كثير من الأحيان على سلسلة من مناظر تتصل بنقطة مركزية ، وذلك أشبه بما يعرض فى حلقات السرك منه بالقصص المحبوكة .

غير أن تأثر جمهور الناس بهذه المعروضات كان عظيماً لأن

موضوعاتها كانت تختار من صميم ما يثير نفوسهم سواء أكانت مستوحاة من الأدب القديم أم من الحوادث الجارية فى العصر . وكانت براعة الأدباء فى تصوير المناظر فى قالب أدبى شاعرى هى التى تكسب معروضات ذلك العصر روعتها .

ولم يكن المسرح نفسه فى ذلك الوقت فى الصورة التى صار إليها فى وقتنا هذا ، فما كان يزيد على فناء مفتوح هو موضع النظارة من أبناء الشعب ويحيط به صف من المقاصير للخاصة . وكان المسرح يبرز فى الفناء المفتوح حتى يصير النظارة أشبه بنصف دائرة حوله ، وكان يغطيه سقف قائم على عمودين فى وسطه . ولم تكن به ستائر مرسومة تمثل مناظر الرواية ، بل كان يكتفى بالأقل الضرورى من القطع فوق المسرح . وكثيراً ما كان يكتب فوقه على لوحة نوع المنظر الذى سيعرض ليقرأه القليلون ممن يعرفون القراءة بين الجمهور . ويدلنا على شدة إقبال جمهور لندن على المسرح أن أول مسرح أنشئ فيها كان فى سنة ١٥٧٠ ، فما أتى آخر القرن حتى كان بها ثمانية مسارح متنافسة ، فى حين كان عدد سكان المدينة لا يزيد إذ ذاك على مائتى ألف .

وكانت العادة أن تتكون فرق من الممثلين كل منها ينتمى إلى أحد العظماء كراع تستظل بجاهه . وكان بعضها ينشئ لنفسه مسرحاً مثل الفريق الذى كان شكسبير أحد ممثليه ، فإنه أنشأ لنفسه مسرح « الجلوب » فى عام ١٥٩٩ ، بعد أن كان يمثل رواياته على المسارح المختلفة القائمة فى

المدينة تحت أسماء شتى ، مثل «الوردة» و « الستارة » و «خان العجل » .
ولنذكر أن أدوار النساء كانت تعطى للصبيان ، إذ لم يشتغل النساء بالتمثيل إلا بعد حين طويل .

وقد وجه الشاعر الأديب الإنجليزى السير فليب سدنى نقداً لاذعاً للمسرح فى أيامه فى كتابه « الدفاع عن الشعر » ، ومن المستطرف أن نستمع إليه قليلا إذ يقول : « إنك لتشهد فيه (أى فى المسرح) آسيا فى جانب وأفريقية فى جانب آخر ، وممالك أخرى سواها تنطوى تحتها ، فإذا ما دخل الممثل إلى المسرح كان عليه دائماً أن يبدأ بالتعريف عن المكان الذى هو فيه ، وإلا لم يستطع أحد أن يدرك أين مكان الرواية . وقد ترى ثلاث سيدات أمامك يجمعن الأزهار ، فتحسب أن المسرح حديقة ، فإذا أنت تسمع أنباء تحطم سفينة فى المكان عينه ، وإذا لم تدرك أن الذى أمامك هو صخرة ، كان اللوم عليك أنت . ومن ظهر هذا المنظر يخرج وحش مشوه الخلقة ، تخرج منه النيران والدخان ، فلا يجد الناظر البائس بداً من أن يجعل المسرح كهفاً . وفى أثناء هذا يدخل جيشان متحاربان ، تمثلهما سيوف أربعة ودرع واحدة ، وأى قلب جامد لا يدرك عند ذلك أن المكان ميدان معركة ؟ وأما من حيث زمان الرواية ، فالقوم أكثر تحرراً . . . إلخ إلخ » .

وكان النظارة فى أكثر المسارح كما سبق القول يمثلون كل الطبقات فكانوا يزدحمون حول المسرح ، وكثيراً ما كانوا يقاطعون الممثلين ويحولون

دون رؤية الصفوف الخلفية لما يجرى على المسرح ، وكانت النكات تتبادل أحياناً بين الممثلين والجمهور . وهذا هو السر فى أن أكثر القصص تشتمل على مزيج من المعروضات مما يلائم الأذواق المختلفة — بين النكات البذئية أحياناً وبين التعبير عن أدق العواطف البشرية .

ولا يحسب أحد أن هذا الإقبال العظيم كان من شأنه أن يملأ جيوب كتاب المسرح ذهباً ، فقد كان ثمن الرواية يتراوح بين أربعة جنيهات وعشرة ، وقد اغتنى أحد أصحاب المسارح من شراء الروايات من الكتاب البائسين بالثمن البخس ، ثم ببيع حق تمثيلها إلى المسارح ، حتى إنه بنى من أمواله مسارح ثلاثة : الوردة والحظ والأمل .

وإنه ليطول بنا القول إذا أردنا أن نتحدث عن كبار المؤلفين الذين أمدوا ذلك المسرح بمعروضاته فى أيام الملكة إليزابث ، وحسبنا أن نذكر منهم أولا الناثر « چون لَيْلى» ثم الشعراء « چورج پيل » و « توماس كيد» و « كريستوفر مارلو » و « روبرت جرين » .

فالشاعر شكسبير إذن لم يكن سوى واحد من ذلك الجمع الزاخر الذى ازدحمت به حانات لندن فى عصر الملكة إليزابث ، وكانت حياتهم كلها قائمة على المسرح ومن حوله .

إلا أن شكسبير كما سبق القول كان فى نظر كتاب عصره متطفلا على مائدة الأدب ، دعياً من الأدعياء الذين لم تؤهلهم ثقافة ولا سابق قدم فى المعرفة ، فتى مغروراً يزعم لنفسه فضيلتين لا ينبغى له أن يخرج

عن طوره ليدعى إحداهما فضلاً عن ادعائه لهما جميعاً ، وهاتان الفضيلتان هما روعة التمثيل وبراعة الكتابة بالشعر المرسل .

ولكنه على رغم حقد هؤلاء جميعاً استطاع أن يبدأ متمهلا ، ثم يهملج حيناً ، ثم انطلق فى الآفاق وحلق فوق الذرى العالية .

شكسبير ومكبث

ولد وليم شكسبير فى عام ١٥٦٤ فى مدينة « ستراتفورد — أن — إيفن» من أبوين اختلفت الآراء فى مكانتهما الاجتماعية ، فقيل وهو الأغلب إنه من أسرة من الفلاحين ، وقيل بل هو سليل أسرة نبيلة . على أن والده « چون شكسبير » كان فى أول أمره من أهل اليسار والوجاهة فى المدينة ، ولكنه نكب فى وقت ما وأصبح مورد رزقه تجارة اللحوم (الجزارة) . وأما أمه فكانت على ما يبدو جاهلة أمية ، وإن قيل إنها كانت ذات ثروة لا بأس بها. فلما أخنى الدهر على الوالد اضطر إلى أن يرهن ما لها من عقار . وكان وليم ثالث إخوة خمسة ، منهم ثلاثة بنين وبنتان . فلما بلغ سن الصبا أرسل إلى مدرسة المدينة ، حيث تعلم القراءة والكتابة بمبادئ اللاتينية وشيئاً من الأدب وقواعد اللغة ، ولكنه لم يقض فى الدراسة وقتاً طويلا إذ اضطر أبوه إلى إخراجه من المدرسة ليساعده على كسب الرزق . وتزوج وليم مبكراً ،فى سن الثامنة عشرة ، من ابنة أحد أعيان المدينة وهى « آن هاثا واى » ، ولا يذكر التاريخ شيئاً عن حياته الزوجية وإن كانت الدلائل تشير إلى أنها لم تكن حياة سعيدة . وكانت ثمرة هذا الزواج بنتين وولداً واحداً .

ولعله كان فى أيام شبابه الأول يقضى وقته مع بعض لداته فى لهو

من عبث الشباب ، فقادتهم جرأتهم إلى اقتحام أرض أحد الأعيان وهو السير « توماس لوسى » ليصيدوا منها الأرانب أو الغزلان ، وكان هذا مما يعد جريمة فى ذلك العصر . فحكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر ، وبدفع غرامة تعادل ثلاثة أضعاف ثمن الصيد . فحنق شكسبير من ذلك وكتب قصيدة هجاء فى ذلك النبيل ، وعلقها عند مدخل أرضه . ولما أراد النبيل أن يتابعه بالعقوبة هرب لائذاً بالعاصمة الكبرى « لندن » ، وذلك فى سنة ١٥٨٥ ، أى قبل تحطيم أسطول الأرمادا الأسبانى بثلاث سنوات .

وأخذ يلتمس رزقه فى العاصمة مما يتهيأ له من العمل، فقيل إنه كان يخدم رواد المسارح ، ثم التحق بفرقة تمثيلية كممثل ثانوى ، ولا يعرف عن حياته الأولى فى لندن إلا النزر القليل . والظاهر أن موهبته الشعرية لم تلبث أن ظهرت ، فاتجهت إليه بعض الأنظار وأخذ يشارك بعض الكتاب من الشبان فى اقتباس بعض روايات الكتاب السابقين للمسرح ، أو تحويرها وتعديلها لأصحاب المسارح الذين كان حق التأليف يؤول إليهم بعد أن يدفعوا ثمنها الزهيد لمؤلفها . وكان أصحاب المسارح كثيراً ما يلجأون إلى تغيير الروايات القديمة ، ليوهموا جمهور النظارة أنهم سيرون رواية جديدة ، فيزيد إقبالهم على مشاهدتها. ويقال إن أول رواية كتبها شكسبير كانت رواية « جهد الحب الضائع » ، التى يبدو أنه كتبها فى سنة ١٥٩١ أى بعد ست سنوات من قدومه إلى لندن . على أن هذه القصة عدلت بعد ذلك فى سنة ١٥٩٧ ، ثم طبعت فى سنة ١٥٩٨ . ولا شك أن طبع

هذه الرواية دليل على أن شكسبير كان عند ذلك قد عرف له مكان بين الأدباء .

وكانت أول رواية كتبها بعد ذلك هي « روميو وچوليت » فى سنة ١٥٩٢ ، وهى مأخوذة عن قصة قديمة ، كتب فيها الكتاب من قبل فى بلاد أوربا ، وكانت من القصص الشعبية المألوفة ، مثل قصة « قيس مجنون ليلى » أو « جميل وبثينة » عندنا . وفى السنة التالية كتب رواية « تاجر البندقية » ، وقد أخذها عن مصادر شتى منها مجموعة قصص إيطالية كتبت فى القرن الرابع عشر وترجمت إلى الإنجليزية منذ عهد قريب .

واستمر شكسبير فى تأليف رواياته فى مدى عشرين سنة ، بين بدئه فى الكتابة فى سن السابعة والعشرين إلى أن وضع قلمه فى سن السابعة والأربعين ؛ فكان إنتاجه نحو روايتين فى كل عام . وقد عاد فى آخر حياته إلى مسقط رأسه بعد أن بلغ ما بلغ من الشهرة ، وكان عندئذ قد جمع من الثروة ما مكنه من أن يتخذ لنفسه بيتاً اشتراه قديماً مهدماً بستين جنيهاً . وأدخل عليه من الإصلاح ما جعله منزلا ملائماً . وكانت الجنيهات الستون فى ذلك الوقت تعادل عشرة أضعافها على الأقل فى وقتنا هذا . وكان دخله السنوى عند ما عاد ليستقر فى موطنه الأول كافياً لأن يجعل له مكانة اجتماعية ممتازة فى المدينة ، فقد كان يملك نصيباً فى مسرح الجلوب ، كما كان يملك « عزبة » على مقربة من ستراتفورد .

ويتصل تأليف شكسبير اتصالا وثيقاً بأطوار حياته ، فالسنوات العشر الأولى تمتاز بسلسلة من الملاهى التى كان يجمع فيها بين وثباته الشعرية وحماسته الوطنية وفكاهته المرحة . وإذا كان قد ألف فى هذه الفترة من حياته مأساة « روميو وجولييت » ، فهى مأساة أشبه بالملهاة فى روحها المتوثب ، وجوها المرح الذى يغمرها إلى ما قبل النهاية الأخيرة ، التى تكاد تشبه المفاجأة . وفى هذه الفترة أخرج سلسلته الوطنية التى صور فيها تاريخ إنجلترة تصوير الوطنى المتحمس ، الذى يكاد يجد فى عثرات بلاده مفاخر ، وفى إسفافها مجداً .

وأما السنوات العشر الثانية ، فتمتاز بسلسلة من المآسى الكبرى: هملت ، عطيل ، لير ، مكبث ، ومجموعة أخرى من مآس تاريخية مستمدة من تاريخ الروم: أنطون وكليوبترة ، يوليوس قيصر ، كوريولانس . وكان آخر ما ألفه روايتيه الهادئتين العميقتين قصة الشتاء والعاصفة فى عام ١٦١١ ، وهما إن لم تكونا مأساتين ، فإنهما أشبه شىء بالمآسى فى جوهما الحزين .

على أننا حين نعجب من غزارة إنتاج شكسبير ، لا ننسى أن فضله لا يتمثل فى هذه الغزارة ، بل لعلنا نستطيع أن نقول إنه كان قليل الابتكار فى موضوعاته ، وإن كثيراً من مؤلفاته تكرار لمؤلفات سابقة فى عصره ، أو قبيل عصره . وإذا كان لا يأخذ موضوعه عن مؤلفين آخرين ، فإنه يلجأ إلى كتب التاريخ ، أو إلى القصص السيارة أو ما يجرى على ألسنة

العامة من الحكايات ليجعلها موضوعات لرواياته . فى قصة قيصر مثلا يلتزم ما ورد عنه فى تاريخ بلوتارك، وفى قصة عطيل يأخذ عن مجموعة القصص الإيطالية ، وفى مكبث يكاد يلتزم ما جاء فى كتاب « هولنزهيد» وهو كتاب يسرد تاريخ إيقوسا سرداً بعيداً عن الحقائق الثابتة، ويمزج الكاتب فيه بين مخترعات الخيال وحوادث التاريخ . . . فليست غزارة الإنتاج ولا المقدرة على ابتكار الموضوعات هى التى ترفع شكسبير إلى قمته العليا .

بل إننا نستطيع أن نجد فى تأليف ذلك الأديب مآخذ كثيرة ، وقد أخذت عليه مآخذ شتى فى عصره ومن بعد عصره . فهو لم يكن فيلسوفاً، ولم يدع يوماً أن له رسالة يحملها إلى قومه فى صورة فلسفة . وكثيراً ما كان يعرض المذهبين المتناقضين على لسان أشخاصه ، فيخيل إلى القارئ أنه لا يؤمن بشىء معين . غير أنه كان يردد معنى واحداً فى القصة الواحدة، وفى القصص المختلفة ،وذلك هو استخفافه بهذه الحياة وبطلانها. فهو يردد هذا المعنى فى هملت ، وفى مكبث ، والعاصفة ، وكثير غيرها. فيكتب على لسان مكبث عند ما يسمع بموت زوجته يقول مثلا :

« ليتها قضت بعد حين . عل فيما يكون بعد من الدهر أوان لمثل هذا الحديث . بل غد بعده غد ، وغد آخر ، تحبو الخطا القصار دبيباً، تتوالى يوماً فيوماً إلى آخر حرف مسجل للزمان. كل أمس لنا أضاء لحمقى فى طريق يفضى لموت التراب » .

ثم يخاطب الحياة قائلاً : « أيتها الشمعة الضئيلة بعداً لك بعداً، فإنما العيش ظل ، كخيال يمشى ، وكاللاعب المسكين فى مسرح يضج ويزهى ساعة قدرت له ، ثم لا يسمع من بعدها مدى الأيام . إنها قصة يرددها المعتوه ، صوت وهيجة دون معنى » .

ويقول فى العاصفة على لسان پروسپرو : « إنما نحن من كيان شبيه بالذى منه تصنع الأحلام — فى حياة ضئيلة من حواليها محيط من السبات العميق » .

وما أشبه هذه النظرة بنظرة الفلاسفة القدامى أو بنظرة أبى العلاء والخيام . ففيما عدا هذه النظرة التى تتردد فى مؤلفاته بين حين وآخر لا نستطيع أن نلمح له فلسفة محددة . ذلك لأنه لم يرد أن يكون معلماً ، ولم يكن يستطيع أن يكون معلماً . فهو شاعر يستطيع أن يهب الحياة للأموات فيعيدهم من الماضى ليحيوا أمام عصره ، وما زالوا يحيون أمامنا إلى اليوم ،ولم يكن يعنيه أن يبحث فى صفحات التاريخ ليستخرج هؤلاء الأموات ، ويتحقق من أنهم هم أنفسهم الذين عاشوا ، كما كان لا يعنى بأن يصور لنا أسلوب حياتهم أو يبرز دقائق الألوان التى كانت تحيط بهم فى عصورهم ، بل كان همه أن يصور لنا الإنسان الذى عاش قديماً على هذه الأرض ، والذى ما يزال يعيش إلى اليوم بغرائزه وطبائعه ومغامراته ومسراته وأحزانه . كان حسبه أن يصور الإنسان فى غمرة حبه أو فى حزنه، أو يصوره فى عواصف أطماعه وغروره ، ولا يعنيه أن يبين لنا أنه كان

رومانياً أو مصرياً أو إيطالياً. فنحن إلى الآن نرى عطيلاً المغربي ولا ندري على وجه الدقة من هو ، ولا من أي أقطار العرب أتى . ولولا أنه استخرج أسماء أبطاله من تاريخ الأمم أو أساطيرها لما تغير شيء في هؤلاء الأبطال الذين نفخ فيهم الحياة مرة أخرى . وإنما اختار أبطاله من التاريخ لأنه أراد في أول مرة أن يثير حماسة الشعب الإنجليزي بذكرى الأبطال الذين يصور فيهم أمته ، ثم اختار أبطال التاريخ القديم أو الأساطير القديمة ، لا ليرسم عصراً تاريخياً بل ليقدم للناس نماذج من الإنسانية في شتى مواقفها من الحياة . فتصوير أشخاصه ، وتعمقه الطبيعة البشرية في تصويرهم هما ميزتا الشاعر الكبير ، وهما سر خلود إنتاجه على مر العصور .

ولا يستطيع أحد أن يحدد بالدقة أين يكمن سر الإبداع في هذا التصوير . فهي عبقريته التي استطاعت أن تبدع تلك الصور ، كما تبدع الطبيعة في إخراج الزهور من البذور ، وكما تبدع الطيور في إرسال ألحانها في الربيع .

هذا على ما كان في أسلوب شكسبير من المآخذ التي كانت جديرة بالحط من شأنه كأديب كبير ، لولا هذه العبقرية العظيمة التي يكمن فيها سر عظمته . ذلك أن أسلوب شكسبير في التعبير كان أحياناً كثير التعقيد ، وكان يستطرد في القول أحياناً استطراداً ملتوياً غامضاً يذهب برونق العبارة . وكان مغرماً باختراع الصور المتكلفة ، ويستخرج من الصورة المتكلفة أخرى متكلفة ، مشبهاً في ذلك شعراء العرب المتأخرين

من أمثال البهاء زهير وابن الفارض وابن سناء الملك .

وقد نجد فى استعاراته وتشبيهاته أحياناً تعسفاً شديداً ، فلولا إبداع الصورة التى يرسمها فى مجملها ، لذهب ذلك التعسف بقيمته الأدبية . غير أنه إلى جانب هذا يرتفع أحياناً إلى ذروة البيان فى عبارات سهلة سلسة وضاءة ، ولا سيما عند ما يكون الموقف ثائراً بالعاطفة .

فمع كل ما فى أسلوب شكسبير من تعقيد أو تكلف أو تعسف ، ما تزال قيمة إنتاجه فى الذروة العليا ، لأن عبقريته الأصيلة خلقت للعالم تراثاً إنسانيًّا نفيساً فى تلك الصور التى عرضها وأودع فيها عبقريته . فلا العلم ولا الفن ولا البحث النفسانى يستطيع أن يبلغ فى إضافاته إلى التراث أكثر مما بلغ شكسبير فى إضافاته بتصوير أشخاص رواياته .

وقد كتب قصة مكبث على أغلب الأقوال فى عام ١٦٠٦ وقيل إن كتابتها كانت بمناسبة احتفال إقامة ملك إنجلترة « چيمس الأول » لصهره الملك فردناند ملك الدانمرك . فالرواية تتضمن لفتات عدة فيها تحيات للملك چيمس الذى ينتسب إلى أحد أشخاص الرواية ،وهو الأمير بنكو.

وقيل إن إسراع شكسبير فى إعداد رواية مكبث لهذه المناسبة جعلها تتميز عن سواها من رواياته بالقصر ، فهى أقصر قطع شكسبير ، كما تتميز عن غيرها بكثير من المواقف التى تضطرب فيها العبارة اضطراباً جعل بعض النقاد ينكرون نسبتها إلى شكسبير نفسه ، ويزعمون أن زميلاً له من الأدباء هو الذى كتبها ، كما جرت عادة ذلك العصر فى اشتراك

الأدباء فى تأليف رواية واحدة .

غير أن هذه كلها فروض غير ثابتة ، فإن قصة مكبث برغم ما فيها من اضطراب فى بعض المواضع ، ما تزال تعد إحدى بدائع شكسبير ، ومن الناس من يعدها هى وهملت أكبر آياته . على أنها مهما يكن الأمر كانت من أحب روايات شكسبير عند أهل عصره ، وما تزال إلى اليوم محبوبة عند الناس لسهولة موضوعها ، وصفاء نسيجها العام .

وهى مستمدة كما سبق القول من حوليات تاريخ إيقوسا التى كتبها « هولنزهيد » فى سنة ١٥٧٧. وقد سبق أن وصفناها بأنها مزيج من التاريخ والأقاصيص . ولكن شكسبير على عادته فى اقتباس رواياته التاريخية ، لم يلتزم الأصل الذى أخذ عنه ، بل حور فى القصة تحويراً يكاد يجعلها من صنع خياله ، لولا أن الأشخاص الذين ينسجون حوادثها كانوا حقاً من أشخاص التاريخ .

على أن شكسبير أدخل من عنده شخصيات أخرى غير تاريخية ، كلما احتاج إلى تتمة للصورة التى يريد أن يرسمها .

وتقع حوادث هذه الرواية كما سبق القول فى عصر إغارات قبائل الشمال على جزيرة بريطانيا ، قبيل الإغارة الكبرى التى غيرت وجه التاريخ فى إنجلترة ، وهى إغارة النرمان على وليم الفاتح . وها هو ذا مجمل القصة كما رسمها شكسبير .

أغارت جموع من أهل الشمال — من بلاد النرويج — بقيادة ملكهم

« أسوينه » على أرض إيقوسا (أسكتلندة) ، وأمدهم بعض الأمراء الإقطاعيين فى إيقوسا وجزائر البحر المجاورة للشاطئ الغربى ، حتى كادوا يستولون على البلاد ، لولا شجاعة أمير من قواد الملك « دنكان » وهو « مكبث » ومعه زميله « بنكو » ولما انتهت الموقعة بالنصر عاد القائدان ليحملا النبأ إلى الملك ، فاعترض طريقهما ثلاثة من الساحرات وجعلن يهتفن لمكبث بأنه سيكون ملكاً ، كما هتفن لبنكو بأنه سيكون والداً للملوك . وبشرن « مكبث » فوق ذلك بالترقى العاجل فى مناصب الإمارة الإقطاعية فيصير أميراً لإقطاعة « قودر » كخطوة أولى فى سبيل الملك .

وجاء عقب ذلك رسل الملك يستقبلون القائد المنتصر ، ويحملو إليه أن الملك خلع عليه إمارة « قودر » فى المكان الذى خلا بخيانة أحد كبار الأمراء . فوقع فى روع مكبث أن بشرى الساحرات صادقة ما دامت قد بدأت تتحقق بالترقية إلى الإمارة الجليلة . ومنذ ذلك الحين داخله الطمع فى الملك ، وخطرت له فكرة قتل الملك الشيخ « دنكان » ، كى تتم له نبوءة الساحرات .

وأخبر مكبث زوجته بما حدث له ، فاشتعلت مطامعها وأخذت تذكى فى زوجها مطامعه ، وجعلت تحرضه على قتل الملك .

وجاء الملك لزيارة « مكبث » فى قصره تكريماً له ، فانتهز « مكبث » الفرصة وأنفذ جريمة القتل ، ولم يستطع الأمراء الآخرون أن يجاهروا بشكوكهم فيه ، فاختاروه ملكاً ، واضطر ولدا « دنكان » إلى الهرب

لينجوا بنفسيهما ، فهرب ابنه الأكبر ملكولم إلى إنجلترة لاجئاً إلى ملكها « إدورد التقى » يطلب منه المساعدة على استعادة عرش أبيه .

غير أن مكبث بعد أن صار ملكاً ، صار يتوجس من زميله «بنكو» الذى بشرته الساحرات بأنه سيكون والداً للملوك . فدبر مؤامرة لقتله .

ولكنه عندما نفذ تلك الجريمة استولى عليه وهم شديد ، وخيل إليه أن جريمته لا بد تظهر يوماً من الأيام . ومن أهم مناظر الرواية منظر الوليمة التى استولى الوهم فى أثنائها على « مكبث » فخيل إليه أنه يرى بنكو القتيل بين ضيوفه جالساً على كرسيه ، يهز له خصل شعره المعقودة بالدم ، فهاج هائجه حتى أفسد بهجة الوليمة وانصرف الضيوف منها بعد أن انقلب مرحها وقصفها إلى موقف من أشد المواقف حرجاً .

وما زال مكبث يتوجس خوفاً من أمرائه ، حتى دبر مؤامرة لقتل أكبرهم « مكدف » ، إذ تبين له أنه يعصى أوامره ويتحداه ، وظن أنه يريد الانتقاض عليه . ولكنه لم يظفر بقتله لأنه كان قد هرب قبل أن يصل أعوان مكبث إلى قصره ، وقتل هؤلاء الأعوان زوجته وأولاده الصغار .

وذهب مكدف إلى إنجلترة يطلب العون على « مكبث » الطاغية وهناك التقى « بملكولم » ابن « دنكان » .

ومنظر لقائهما من أروع مناظر الرواية ، فإن مكدف عندما بدأ يحدث الأمير عن مظالم « مكبث » ظن ملكولم أنه يريد أن يستدرجه حتى

يوقع به ، فحدثت بين الاثنين محاورة طريفة انتهت باقتناع « ملكولم » بصدق « مكدف » ، واتفقا على السير إلى إيقوسا لمحاربة « مكبث » بمساعدة جنود إنجليزة بعث بهم الملك « إدورد » لمساعدة الأمير على استرجاع عرش أبيه .

وفى المناظر التى وصف فيها شكسبير مواقع الحرب بين الأمير وأعوانه وبين مكبث استطاع المؤلف أن يرسم « لمكبث » صورة من أوضح الصور ، فجعله مزيجاً من الشجاعة والعنف ، ومن التردد والضعف ، فيظهر « مكبث » فيها إنساناً حيًّا فيه ضعف الإنسان وقوته جنباً إلى جنب . واستمرت الحرب حتى انتهت بقتل مكبث على يد مكدف ، الذى كان يتحرق للانتقام لزوجته ولصغاره .

غير أن شكسبير بعد أن مضى فى تصويره البديع إلى آخر الموقعة ، انتهى من الرواية إلى نهاية فاترة ، تكاد تبلغ حد السخف فى تفاهتها . ولعل ذلك أثر من آثار السرعة فى إنجاز القصة ، إذا صح أن شكسبير كان يعدها مسرعاً لاستقبال ضيف الملك جمس كما سبقت الإشارة إليه.

وأسلوب الرواية يختلف اختلافاً عظيماً بين القوة والضعف ، ففى أولها بعض مناظر متكلفة سقيمة التصوير مثل الحديث مع الضابط الجريح فى المنظر الثانى من الفصل الأول ، وفيها بعد ذلك سجعات الساحرات فى المنظر الخامس من الفصل الثالث ، والمنظر الأول من الفصل الرابع .

غير أن المؤلف ينطلق بعد هذا كله كلما أوغل فى الرواية . ولعل

مثل هذه المناظر قد أضيفت إلى الرواية بعد أن ألفها شكسبير ، استجابة إلى ميول الجمهور الجاهل الذى كان يعجبه ما فى مثل هذين المنظرين من تهريج .

وفى بعض مواضع من القصة عبارات نابية ، اعتادت دور النشر أن تحذفها لشدة إسفافها ، وقد حذفتها من النص ، ولكنى أثبت قطعة واحدة منها ، لأنها أقل هجراً ، ولأن سياق المعنى لا يستقيم إلا بها .

هذا هو مجمل القصة كما هى فى الأصل الإنجليزى ، ولكن الحديث عنها لا يتم إلا إذا عرجت قليلاً على قصة ترجمتها ، فإن لتلك الترجمة قصة .

تقديم الترجمة

كنت منذ عهد بعيد من أشد الناس إعجاباً بالشاعر الإنجليزى شكسبير ، وطالما حدثتنى نفسى بأن أترجم بعض آثاره إلى اللغة العربية ، بل حاولت شيئاً من ذلك مراراً ، فترجمت بعض مقطوعاته الغنائية الفياضة بالعاطفة ، ثم أتبعتها بعض قطع من رواياته ، ولكنى لم أتوفر على ترجمة رواية كاملة إلا هذه المرة فى محاولتى هذه مع مكبث . وقد نشرت بعض القطع التى ترجمتها من رواياته فى كتاب تذكارى أخرجته دار المعارف منذ سنوات ، فى إحدى المناسبات التذكارية لذلك الشاعر الكبير .

وكان السر فى أنى لم أقدم على ترجمة رواية كاملة قبل هذه المحاولة ، أننى كنت أرى رأياً أحب أن أبينه هنا ، لأنى أظنه جديراً بأن يعرض على أدباء العربية ، لما له من الصلة الوثيقة بنشاطنا الثقافى الحديث . وذلك أنى أرى أن ترجمة الآثار الأدبية الكبرى إلى اللغة العربية ينبغى أن تضيف إلى التراث الأدبى العربى إضافة جديدة جديرة بأن تبقى لذاتها ، وبأن تقرأ لذاتها ، كإنتاج أدبى عربى ، فإذا لم تحقق الترجمة هذه الإضافة ، فهى لا تزيد على أن تكون تعريفاً بالأثر الأدبى الأجنبى أو تسجيلاً له بوصفه أدباً أجنبياً . والفرق عظيم بين أن تصير الترجمة قطعة من الأدب العربى وبين كونها تعريفاً بالأثر الأدبى مع بقائه أجنبياً .

ويمكن أن نوضح هذا المعنى بأن نضرب مثلا بالترجمة التى أبدعها فتزجرالد لرباعيات عمر الخيام ، إذ أن هذه الترجمة تقرأ اليوم على أنها قطعة أدبية إنجليزية ، لها قيمتها الخاصة فى الأدب الإنجليزى ، وإن كانت ترجمة لرباعيات الخيام . ويظهر الفرق بين مثل هذا الإنتاج الأدبى وبين الترجمات التى صدرت عن بعض دور النشر فى مطالع هذا القرن لطائفة من مختارات الأدب الأوربى فى السلاسل القصصية مثل « مسامرات الشعب » . ولو أن هذه القصص ترجمت على الوجه الصحيح لبقيت إلى اليوم ولتكوّن من مجموعها تراث أدبى ضخم فى اللغة العربية، والفرق عظيم بين مثل هذه الترجمات وبين الإضافات التى أفادت اللغة العربية مثل ترجمة المنفلوطى لمجدولين ، وترجمة أحمد زكى لذات الكميليا ، وترجمة الزيات لآلام فرتر ، وذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

ولهذا كنت أرى أن ترجمة شكسبير لا ينبغى لها أن تكون تسجيلا أو تعريفاً بروايات ذلك الشاعر الكبير .

فنحن لا نقنع — أو بقول أدق — إن اللغة العربية لا تقنع بأن يسجل فيها الموضوع الذى عالجه شكسبير ، بل هى تطالب من يتعرض لهذه الترجمة إذا أراد خدمتها حقاً أن ينقل فيها صورة صحيحة ينعكس فيها الأثر الأدبى الذى أبدعه شكسبير فى إنتاج فنى جدير بأن يعد إضافة للأدب العربى . والحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب عن الأذهان هى أن شكسبير لم يكن مؤلفاً روائياً بقدر ما كان شاعراً ، وأن سر إبداعه

لا يكمن فى حبك القصة ولا فى إتقان أسلوب الحوار ولا فى تدبير المواقف المؤثرة بقدر ما يكمن فى الصور التى رسمها بأسلوبه الفنى وشخصياته التى خلقها بلغته العميقة الفذة . ومن أكبر مميزات أسلوبه الفنى أنه أسلوب شاعر لا أسلوب قصصى ، فإن لفتاته ونغماته ودفعاته إنما هى لفتات الشاعر ونغماته ودفعاته . واللوحات التى يرسمها شكسبير فى مواقف رواياته تمثل صور الإنسان الحى الذى ينطق من أعماقه بما تنبض به النفس البشرية من خلجات العواطف والغرائز والطبائع . وإنه لمن العبث أن نحاول نقل كل ما يصدر عن الشاعر بغير أن نتقمص روحه إذا استطعنا ذلك ، وأن نملك من قوة التعبير فى لغتنا ما يتهيأ له فى لغته ، فإذا لم نقدر على ذلك فلا أقل من أن نحتال على أن تكون طريقتنا فى التعبير أقرب ما تكون إلى طريقته . فالمشكلة إذن هى : كيف نستطيع أن ننقل عمل الشاعر من لغة إلى أخرى نقلا صادقاً بحيث يكون التعبير فى لغتنا صورة ولو منعكسة من طريق تعبير الشاعر ؟ فموقف المترجم عند ما يتعرض لنقل أثر أدبى موقف شديد الإحراج ، ويتضاعف حرج موقفه إذا هو تعرض لنقل إنتاج شعرى .

من أجل هذا كنت لا أقدم على ترجمة رواية كاملة من روايات شكسبير ، وكانت المحاولات الأولى فى ترجمة بعض قطع من تلك الروايات كافية للعدول عن إقحام نفسى فى مثل هذه المشقة .

ومما زادنى إحجاماً عن ذلك العمل أن روايات شكسبير مفرغة فى

قالب شعرى خاص وهو الشعر المرسل – الذى يلتزم فيه الشاعر وزناً واحداً فى أكثر الرواية بغير أن يتقيد بقافية . وهذا النوع من الشعر شائع فى اللغة الإنجليزية ويلجأ إليه الشعراء فى تأليفهم للروايات والملاحم ، لأنه طريق وسط بين الشعر المقيد وبين النثر البسيط . فهو يفيد العبارة بموسيقى الوزن ، ويتيح للشاعر فرصاً للتعبير الشعرى ، ولكنه يخفف عنه مؤونة القافية وما فيها من دواع للتكلف ؛ عند ما يكون الموضوع داعياً إلى الإطالة والاسترسال .

وذلك النوع من الشعر لا يبلغ فى موسيقاه شعر الغناء المتأنق فى أسماطه ، وإن كان يزيد عنه فى غناه وانطلاقه ويسره . وإذا كان الشجى المحزون أو المحب الولهان أو المتحمس المندفع يؤثر التغنى بالشعر ذى الأسماط الموزونة المقفاة ، فإن الروائى أو شاعر الملحمة يجد فى الشعر المرسل حيوية وصدقاً ورحابة تشبه غزارة المحيط الفسيح إذا قيست بالجداول الرقراقة ، التى تتمثل فى بحور الشعر المقفى . وأحسب أن الشعر الإنجليزى هو أغنى الآداب فى هذا الضرب من الشعر ، وقد أبدع فيه عدد من نوابغ الشعراء الإنجليز منذ عهد شكسبير إلى يومنا هذا .

وقد كنت دائماً أرى أن هذا النوع من الشعر جدير بأن يطعم الأدب العربى ، وأنه قد يفتح فى هذا الأدب أبواباً كثيرة كانت ولا تزال مغلقة أمام اللغة العربية ، وأنه لذلك يكون مورداً غنيًّا عظيماً فى أدبنا العربى إذا أمكن أن ينطلق فيه الأدباء الموهوبون . ولكم تمنيت لو أن الشاعر

العظيم شوقى أبدع لنا بعض قصصه الشعرية فى أسلوب هذا الشعر المرسل — وإذن لكان الأدب العربى قد خطا على يديه خطوات فسيحة فى سبيل الرقى .

على أنى مع ذلك أعتقد اعتقاداً جازماً أن اللغة العربية سائرة لا محالة فى سبيل الشعر المرسل ، وهناك من الأدلة ما يشير إلى هذا الاتجاه فى كل الأقطار العربية ، لأن شعراء الشباب قد بدأوا يتخطون حدود القافية ، وإن كانوا لم يلجوا بعد ميادين الشعر المرسل اللائقة به وهى الملحمة والرواية الشعرية .

ولست أزعم أن الشعر المرسل يستطيع أن يحل محل أساليب الشعر التقليدى المقفى ، فإن الأوزان الموسيقية المقفاة ستبقى ما دام الإنسان يتغنى بعواطفه وأحداثه . ولكنى مع هذا أقول إن للشعر المرسل وظيفة تعجز عنها الأوزان الموسيقية المقفاة ولقد حاولت عدة محاولات فى الترجمة والتأليف بهذا الشعر المرسل منذ عشرات من السنين وكانت أولى محاولاتى فى هذا السبيل ترجمتى لملحمة « سهراب ورستم » عن الإنجليزية للشاعر « ماتيو أرنولد » ، وأعقبت ذلك ببعض قصص قصيرة ثم بقصة « خسرو وشيرين » وبترجمة القطع التى أشرت إليها فيما سبق من روايات شكسبير . ولست أنكر ما واجهنى من الصدمات من وراء ذلك ، وأحب أن أذكر منها واحدة على سبيل المثال ، لأنها كانت صدمة طريفة من صديق عزيز .

كانت ترجمتى الملحمة سهراب ورستم فى سنة ١٩١٨ وكنت إذ ذاك مدرساً فى مدرسة وادى النيل الثانوية ، وكان أحد زملائى فى تلك المدرسة الأستاذ المغفور له محمد صادق عنبر . وكنا نجلس فى ساعة الغداء نتطارح بعض الطرائف الأدبية ، فخطر لى أن أطلع صديقى على قطعة من الملحمة التى ترجمتها .

واستمع إلىّ الصديق الكريم بما كان معروفاً عنه من الظرف والوداعة والأدب حتى إذا بلغت من قراءتى ما أرضانى نظرت إليه منتظراً رأيه . فما كان منه إلا أن تبسم ونظر إلى من وراء نظارته السميكة السوداء . قائلا : «أتدرى ماذا حملت إلينا هذه الحرب ؟» وكنا عند ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . فعرفت أنه على وشك أن يتحفنى بإحدى مداعباته القارصة . وسكت . فمضى قائلا « هما شيئان : شعرك المرسل والحمى الإسپانيولية» ، وكانت مصر تعانى فى ذلك الوقت شدة وباء تلك الحمى التى وفدت عليها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . وبقيت هذه الفكاهة الحريفة موضع التندر بين الزملاء مدة طويلة ، وكان الزميل الكريم كلما واجهنى أعاد ابتسامته ونظرته كأنه يعيد على عبارته .

على أنى أحب أن أقول إنصافاً للواقع أننى نشرت بعد ذلك فى مجلة الرسالة استفتاء عرضت فيه بعض القطع التى ترجمتها شعراً مرسلاً من روايات شكسبير وعرضت إلى جانبها ترجمات أخرى لها لبعض فضلاء الأدباء ، وكانت نتيجة هذا الاستفتاء نصراً لقضية الشعر المرسل .

وكنت دائماً—إذا خطر لى أن أتجرأ وأترجم قطعاً من روايات شكسبير — أتعمد أن أجعل هذه الترجمة شعراً مرسلاً لاعتقادى أن هذا هو الأسلوب الشعرى الذى يمكن أن تتحقق فيه ترجمة لشكسبير ، ولكنى — كما قدمت من قبل—لم اتجرأ على أن أخطو الخطوة الحاسمة إلا هذه المرة. فلست أدرى إذن أهو من حسن حظى أم هى فلتة جريئة ، وكذلك لست أدرى أكان من الحكمة أن أقدم على هذه الترجمة أم كان من التغرير بنفسى . ولكن مهما يكن الأمر فإنى لست المسئول الوحيد عن هذا الإقدام . فالذى حسَّن إلىّ ترجمة مكبث هو صديقى الدكتور طه حسين عند ما استقر رأيه وهو رئيس اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية على ترجمة آثار شكسبير . فإذا كنت قد أحسنت فى إقدامى فإليه يرجع فضله وإذا كنت قد غررت بنفسى فهو شريكى فى الوزر إن كان فى ذلك وزر.

ومن الحق أن أبين أنني عند ما بدأت الترجمة تعمدت أن أترجمها نثراً ، حتى لا تجتمع علىّ صعوبتان ، صعوبة الترجمة عن شكسبير وصعوبة التزام وزن الشعر . غير أنى كنت كلما قطعت فى الترجمة شوطاً وقفت ملياً أتأمل ما ترجمته ، فكنت فى كل مرة لا أرضى عن نفسى ولا عن ترجمتى . كنت مهما جودت فى الأسلوب أجده أجنبياً عنى ، ومهما تحريت الدقة فى أداء المعنى أجده أجنبياً عن شكسبير .

كنت أجد الترجمة النثرية فاترة لا توحى بحرارة أسلوب شكسبير ولا سيما فى المواقف العنيفة ، وما أكثرها فى رواية مكبث ! فبدا لى أن

أسيرفى الترجمة وفق اعتقادى ، واستقر رأيى على أن أجعلها فى شعر مرسل ، مع ما فى ذلك من صعوبات ، ومع ما يكلفنى من مشقة . وإنه لمن الحق أن أقول إنى تجشمت فى الترجمة على هذا الأسلوب ما لم أتجشم مثله فى ترجمة ولا فى تأليف . قضيت سنتين كاملتين بين ترجمة ومراجعة. ولا أبالغ إذا قلت إنى أعدت النظر فى الترجمة أكثر من ست مرات قبل أن أبعث بها إلى دار النشر . وقد لا يكون هذا دليلاً على أنها قد صارت بعد هذه المراجعات جديرة بالتقدير ، فإن التقدير موكول إلى القارئ وحده ، ولعل غيرى كان يقدر على التجويد السريع حيث أبطأت ، وإنما أقصد من هذا الاعتراف إلى ذكر الحقيقة كما كانت ؛ وقد يكون عكس ما ذكرته أبعث على الرضا عند المؤلف أو المترجم إذ يكون دليلاً على جودة طبعه وعظم مقدرته .

وأنا الآن أنظر إلى ورائى وأسأل نفسى عما فعلت فى هذه المدة الطويلة. فلأقف قليلاً لأتحدث عن بعض ما واجهت من الصعاب لعل ذلك يلقى شيئاً من الضوء على مصاعب الترجمة من لغة إلى أخرى بوجه عام ، وعلى ثقل العبء فى ترجمة شكسبير بوجه خاص .

فالترجمة من لغة أوربية إلى العربية أشق بكثير من الترجمة بين لغتين أوربيتين ، لما بين أسلوب العربية وأسلوب اللغات الأوربية من خلاف جوهرى . فإذا كان المترجم صاحب أسلوب فنى فى إحدى اللغات الأوربية سهل عليه أن يضيف إلى لغته إضافات شتى بالترجمة عن

اللغات الأوربية الأخرى، وأن يحتفظ فى ترجمته بدقائق مميزات الأسلوب الأصلى ، لأن تركيب العبارات وترتيب معانيها وتسلسلها يكاد يكون على نمط واحد فى كل اللغات الأوربية ولا سيما لغات أوربا الغربية ، التى تستمد جميعاً كيانها من اللغة اللاتينية. ولكن الأمر على خلاف ذلك فى الترجمة من لغة أوربية إلى العربية .

ولإيضاح ذلك نورد مثالا صغيراً للدلالة على طبيعة هذا الاختلاف.

ذلك أننا إذا شئنا أن نصف شيئاً مضافاً إلى شىء آخر ، فإننا لا نستطيع أن نفصل بين المضاف والمضاف إليه. فإذا أردنا مثلاِ أن نتحدث عن « نسيم السحر » ، كان علينا ألا نفصل بين النسيم والسحر . فإذا أردنا وصف النسيم بأنه هادئ أو عاطر أو بارد ، لم نستطع أن نقول « نسيم السحر العاطر أو البارد » ، لأن الوصف يكون عند ذلك غامضاً، وقد يفهم منه أننا نريد وصف السحر نفسه بأنه عاطر أو بارد . ولذلك لا بد لنا من أن نحتال فى إزالة هذا الغموض ، فنقول مثلا « النسيم الهادئ العاطر فى ساعات السحر » . وتزداد الصعوبة إذا كان كل من المضاف والمضاف إليه موصوفاً .

وتعدد وصف المضاف والمضاف إليه أمر شائع فى اللغات الأوربية عامة ، لا تكاد تخلو منه قطعة أدبية ، وذلك لأن تلك اللغات تستخدم أداة للإضافة تيسر للكاتب أن يصف كلا من طرفيها بما يشاء من الأوصاف .

ومما يجعل الأمر أكثر تعقيداً أن الأوصاف قد تكون مشتقة ، بل قد يكون اشتقاقها غريباً عن روح اللغة العربية ، كما أنها تكون أحياناً مكونة من كلمتين مشتقتين . فترجمة هذه الأوصاف إذا التزمت التركيب الأصلى فى اللغة الأوربية تجعل الترجمة بشعة غامضة لا يتبين القارئ لها معنى فى العربية .

ولغة شكسبير — كما سبق القول — تتميز فى ذاتها بأن الشاعر يستخدم فيها ما يشاء من الألفاظ لما يشاء من المعانى، ويركب عباراته غير متقيد بمثال لغوى مقرر . فهو ينحت الأوصاف نحتاً لا يكاد يوجد له مثيل حتى فى اللغة الإنجليزية . وحسبنا أن نذكر من ذلك مثالاً واحداً :

يقول مكبث لزوجته قبيل إقدامه على اغتيال منافسه بنكو ما معناه:
« تمهلى قليلاً ، فإنى سأقدم على عمل خطير يدوى صداه قبل حلول هذا المساء » .

ولكنه يعبر عن هذا المعنى بطريقته الخاصة قائلاً :

« قبل أن يخرج الخفاش ليطير طيرانه الرواقى (أى طيرانه تحت أروقة القصر) ، وقبل أن تستجيب الجعالين لدعوة هيكات (ربة السحر والشر) محمولة خزفياً (أى محمولة على أجنحة تشبه قطع الخزف المحطم) ضاربة بطنينها النعسان نوبة المساء المتثائبة (أى كما تدق النواقيس نوبة المساء متباطئة فى دقاتها كأنها تتثاءب) سيكون قد تم فعل له دوى هائل » .

فهو مع هذا الغموض فى الصورة ، لا يقنع بأن تكون الصورة فى ذاتها عويصة ، بل يعبر عنها بألفاظ تزيدها غموضاً ،أو ينحت الأوصاف ويركبها من كلمتين أو أكثر ويضيف بعضها إلى بعض .

وللقارئ أن يحكم من مثل هذه العبارات ، أن المترجم لا بد له من بذل الجهد فى الاحتيال على التعبير ، حتى تتهيأ له عبارة عربية سليمة ، مع المحافظة على المعنى الأصلى ، وإلقاء الضوء عليه لإزالة غموضه.

وهاك مثالاً آخر على مقدار التعقيد الذى يقع فيه شكسبير أحياناً:

يتحدث مكبث مرة أخرى إلى زوجته ، فيستطرد إلى مخاطبة الليل قائلاً :

« أيها الليل الذى تخيط الجفون (كما تخاط عين الصقر قبل أن يطلق وراء الفريسة) أقبل وغم عين النهار الرفيقة فإن النهار رحيم إلخ إلخ » .

ومثل هذا القول لا يفهم فى اللغة العربية إلا بعد أن يجاهد المترجم فى سبيل تسوية ما فيه من نشوز ، وإزالة ما عليه من طبقات الغموض .

وقد اعترضت الترجمة صور كثيرة ، يلجأ فيها شكسبير إلى توليد المعانى توليداً عسيراً ، ويجسد فيها المعنويات ، ويتحدث عنها كأنما هى ذوات أشخاص ، وقد يولد من المعنى المجرد معنى مجرداً آخر ، فكنت أتذكر — عند ما أصطدم بشىء من ذلك — أشعار المتأخرين من شعراء العربية ، مثل ابن سناء الملك ، وابن الفارض ، كقول ابن سناء الملك :

إذا نظرت عيني سواه تلثمت
حياء بأردان الوفاء من الدمع

ومثل قوله :

وبقيتَ ما بقي البقاء فإن دنا منه الفناء بقيت أو يفنى الفنا

بل كثيراً ما كانت تقابلني عبارات شكسبيرية أتذكر أني قرأتها ذات يوم لأحد الشعراء المتأخرين . يقول مكبث للروح الذى أخرجته له الساحرات :

« ليت عندى ثلاث آذان حتى كنت أصغى بهن »

وابن سناء الملك يقول أيضاً :

* وددت أعضاى آذاناً لتسمعه *

من هذا يتبين شيء مما يحيط بمن يتعرض لترجمة شكسبير إلى العربية ، ومقدار ما يعانيه من المشقة إذا شاء أن يجعل ترجمته إضافة أدبية إلى هذه اللغة .

على أن هناك عقبة أخرى تعترض المترجم من اللغات الأوربية عامة ، ولا ينبغي للمترجم أن يغفل عنها . فقد يرسم المؤلف صورة مألوفة عند أهل لغته ، ولكنها تكون غريبة عن ذهن أبناء اللغة العربية ، بل إنها قد لا تحمل إليهم المعنى الذى يريد المؤلف التعبير عنه . فيكون على المترجم أن يبرز الصورة فى ملامحها الأصلية ، حتى لا يكون قد ألف من عنده شيئاً مخالفاً لما قصده المؤلف ؛ كما يكون عليه أن يجعل الصورة تحمل المعنى المقصود إلى أهل لغته . ومن الواضح أنه لا جدوى فى الترجمة

إذا التزمت الأصل التزاماً لا يعبر فى اللغة العربية عن المعنى الذى أراده المؤلف ، كما أنه لا جدوى فى الترجمة ، إذا كانت إنشاء جديداً من عند المترجم ، وفقدت صورها وأساليب تعبيرها الأصلية .

على أن المترجم الذى يعانى الترجمة إلى اللغة العربية لا يملك إلا أن يتبين فى وضوح مقدار حيوية هذه اللغة الشريفة ، وطواعيتها فى أداء أدق المعانى ، وتفوقها فى روعة هذا الأداء . بل إن ظلال المعانى التى تنطوى فى الألفاظ العربية لتبدو للمحقق أكثر تنوعاً ، وأروع تعبيراً ، وأرهف حسًّا ، مما يجده فى كثير من اللغات الأخرى . وقد كان يخطر لى فى كثير من الأحيان ، أن شكسبير كان يستطيع أن يزيد إبداعاً ، وأن يحلق فى التعبير إلى ذرى أسمى من البلاغة ، لو أنه ملك التعبير بهذه اللغة العربية . وكثيراً ما كنت ألمح فى أثناء الترجمة أن الشاعر لا يجد أداة اللغة طيعة معه ، ليعبر بها عما عنده من المعانى ، فتكون عبارته فى الإنجليزية كالثوب المهلهل على المعنى الرائع الأنيق ، وانه لمما يؤسف له أن المترجم ملزم بأن يؤدى فى العربية الفسيحة المرنة الغنية ما اضطر المؤلف فيه إلى الركاكة لضيق لغته عن معانيه . ولعل هذا يكون اعتذاراً عن بعض ما يقابل القارئ من العبارات العربية التى قد يخطر له أن فى اللغة العربية مندوحة عنها لمن أراد أن يعبر عن المعنى نفسه بطريقة أخرى . ذلك أن المترجم ملزم بنقل طريقة المؤلف ، وليس له إلا أن يبذل جهده فى نقل هذه الطريقة نقلاً صادقاً بليغاً ، إذ ليس للمترجم أن يختار ما هو

أبلغ إذا كان أبعد عن الأسلوب الأصلى ، وليس له أن يضيف من عنده شيئاً بقصد أن يجمل التعبير بالبعد عن الأصل .

وفى الرواية بعض مناظر أدخلها شكسبير ، أو كما يقول بعض النقاد إن بعض زملائه من الأدباء قد أدخلوها ، لاعتبارات خاصة بزمانه وبظروفه . فمن ذلك مناظر الساحرات ، وكان يقصد بها أن تكون مسلاة لجمهور النظارة فى وسط حوادث الرواية الفاجعة ، وجمهور النظارة فى ذلك العهد لم يكن قد بلغ من الرقى مبلغاً يجعله شديد التمييز بين الغث والسمين ، بل لقد كان يضج بالضحك أشد الضجيج كلما كانت الفكاهة أقل تهذيباً .

وكثير من مناظر السحرة لا يزيد على هراء موزون، وفى بعض الأحيان يكون مقفى فى أسلوب معقد كثير الالتواء ، فيه كثير من التقديم والتأخير ، لالتماس الكلمة المناسبة للقافية . وسيجد القارئ فى ترجمة هذه القطع ما فى الأصل الإنجليزى من سخف وتعسف والتواء ، فإنها بطبيعتها تقوم على ذلك السخف والالتواء .

وسيلاحظ القارئ أن المؤلف يخرج فى بعض مناظر الرواية عن طريقة الأديب إلى طريقة المواطن المتملق ، وذلك أنه كان يمثل فى الفرقة الملكية ، وكان يعرض قصصه على الملكة إليزابث أحياناً وعلى خليفتها الملك جمس الذى كان يرعى الفرقة .

ومن أمثلة ذلك الملق ما كان يطنب فيه شكسبير من مدح الملوك السابقين ، وإثبات الكرامات لهم ، وقوله إن تلك الكرامات ميراث لمن يجيء بعدهم . وقد أفرد منظراً خاصاً عرض فيه الساحرات وهن يحضرن الأشباح لمكبث ، وكان من بين الأشباح التى حضرتها شبح الأمير بنكو الذى اغتاله مكبث،وهو جد للملك چمس. فصور شكسبير ذلك الأمير على أنه والد سلالة من الملوك العظماء ،الذين ينتظر لهم ولأحفادهم أن يبلغوا ذرى المجد والقوة .

ويتخلل الرواية روح عام من الوطنية والاعتزاز بمجد إنجلترة، ولا غرو أن يفعل شكسبير ذلك ، فهو يمثل فورة الشعور الإنجليزى فى فجر نهضة بريطانيا نحو سبيلها المقدر لها بين دول العالم .

وأرى من الواجب علىّ أن أسجل فى آخر هذه الكلمة ما لترجمتى لرواية مكبث من الفضل على .

فى هاتين السنتين الماضيتين كنت مقيماً وحدى فى ليبيا بعيداً عن أهلى وولدى ، وكانت هذه الترجمة تحملنى إلى صحبة الشاعر المبدع ، وتشعرنى فى هذه الصحبة بمتعة تفوق كل ما ألاقى من المشقة .

والذى أرجوه بعد هذا شىء واحد،وأكون سعيداً لو أنه تحقق لى، وذلك أن أكون قد أضفت بهذه الترجمة إضافة أدبية إلى اللغة العربية .

محمد فريد أبوحديد

الفصل الأول

المنظر الأول

مكان قفر . برق ورعد . تدخل ثلاث ساحرات .

الساحرة الأولى : متى نلتقى بعد نحن الثلاث؟
أفى الرعد والبرق أم فى المطر ؟

الساحرة الثانية : إذا ما انتهت ضجة المعمعة .
فكان انكسار وكان انتصار .

الساحرة الثالثة : وهذا يكون قبيل الغروب .

الساحرة الأولى : وأين المكان ؟

الساحرة الثانية : بطاح فلاة .

الساحرة الثالثة : ومكبث فيها نراه .

الساحرة الأولى : سآتى إليك جريمالكين[1] .

الساحرة الثانية : وپدّوك[2] نادى .

---

(١) جريمالكين اسم قطة، ويعزى للسحرة أنهم يستخدمون شياطين فى صور الحيوان كالقطط والزواحف .

(٢) اسم ضفدعة .

الساحرة الثالثة : هلموا سريعاً .

الجميع : نرى الحسن قبحاً . نرى القبح حسناً .
فهيا نطر ، فى ضباب عكر ، وهواء قذر .

(تخرج)

الفصل الأول

المنظر الثانى[1]

معسكر بقرب فورز . صوت نفير فى الداخل . يدخل الملك دنكان وملكولم ودنالبين ولنوكس مع أتباع . يلقون ضابطاً جريحاً .

دنكان : أى مرء هذا خضيب الدماء ؟

جدير بمثل هذا ، لما يبدو عليه من شدة وبلاء ،

أن يؤدى لنا حديثاً عن الثورة ،

يفضى بآخر الأنباء .

ملكولم : إنه الضابط الذى قاتل الأعداء عنى ،

وحال دون إسارى ،

بقتال الجندى ذى النجدة الباسل .

— أهلا بصاحبى المقدام ؛

أخبر الملك ما عرفت عن الحرب ،

كما قد تركتها من ورائك .

الضابط : وقفت وقفة التردد ،

(١) هذا المنظر من أشد مناظر الرواية اضطراباً فى الأسلوب ، فيكثر فيه الحشو والجمل المعترضة ، ويرى كثير من النقاد أنه من تأليف كاتب اشترك مع شكسبير فى التأليف .

مثل اثنين خارت قواهما يسبحان .
فإذا ما تماسكا خمدت قوة كل ،
وعُرقلت حركاته .
ثم جاء الإمداد من جزر الغرب إلى مكدُنلد —
لا كان فظاً —
هو أهل لأن يشق عصا الطاعة ،
إذ ضوعفت عليه حشود
من دنايا الطباع والآثام
وأتته « الكرون » [١] « تمشى خفافاً » والقلاقيس [٢]
« فى السلاح الثقيل »
* وكأنى بالحظ مثل بغىّ ،
صاحبت فاتكاً من الفتاك ،
وعلتها ابتسامة إذ رأته ،
ورأت حوله الكتائب صرعى .
غير أن الجهود لم تغن شيئا ،

(١) الكرون جندى خفيف السلاح من أهل أيرلندا .

(٢) القالاقلوس جندى مرتزق ثقيل السلاح وقد أضيفت بعد كل من هذين اللفظين الغريبين عبارة تفسرهما .

* هذه العبارة تحذف من بعض النسخ لاحتوائها على تشبيه قبيح ولكنا آثرنا إثباتها لأن العبارة التالية تشير إليها ولا تفهم على وجهها إلا بإثباتها .

إذ أتى مكبث الشجاع —
وحقاً هو أهل لصيته المعهود .
لم يبال ابتسامة الحظ ،
بل ثار بفولاذه المجرد صُلتاً ، (صُرَباً)
يتعالى الدخان مما عليه من دماء
لكثرة التقتيل .
ثم شق الصفوف يقطع فيهن طريقا ،
ترعاه عين الشجاعة ؛
فإذا جاء فى مواجهة العبد ،
علاه بالسيف خداً لبطن ،
لم يمكّنه أن يسلّم ،
أو يلقّى تحية للوداع .
ثم دلّى من جانب الحصن رأسه .

دنكان : إنه لابن عمنا الشهم ،
والسيد ذو الفضل ،

الضابط : غير أن البلايا
قد تبجّسن من معين حسبناه زلالا
يفيض صفواً وبشرا .
مثلما تعصف الرياح من المشرق

من حيث تبعث الشمس نوراً ،
بأعاصير تغرق السفن هوجا ،
ورعود تضج بالأهوال .
فتأمل مليك إيقوس وانظر :
بينما كاد جانب الحق يعلو
مستعيناً بعدة الإقدام ،
مرغماً هذه الجنود (الخفاف القلب)
حتى تلوذ بالأعقاب ،
إذ بملك النرويج ينتهز الغرة ،
مستأنفاً هجوماً جديداً ،
بسلاح من الصقيل ،
وأمداد بعوث جديدة من رجال .

دنكان : أولم يستكن لذلك مكبيث وبنكو قائدانا ؟

الضابط : إني أقول استكانا

مثلما يستكين نسر لفرخ ،
أو كما يستكين ليث لأرنب .
إنما الحق أن يقال
لقد صالا كما تشحن المدافع ضعفاً ،
فتدوي منها القذائف ضعفاً .

هكذا ضاعفا الطعان على الأعداء ،
بدءاً به وعوداً مرارا ،
لست أدرى ماذا أرادا ،
فهل كانا يريدان خوض سيل جراح ،
أم أرادا إحياء ذكرى
يعيدان بها هول موقف الجلجلات[1] .
غير أنى أحس فى قوتى الضعف ،
ونأم الجراح يطلب عوناً .

دنكان : إن ما قلت أيها الشهم زين ،
مثل تلك الجراح وهى تزينك .
كلها طيب يفوح بعطر
من شذى المكرمات .

هيا فأتوا

بالأطباء كى يداووا جراحه .

(يخرج الضابط ومعه من يعنى به)

انظروا من أتى إلينا .

(يدخل روس)

---

(١) الجلجلات – المكان الذى يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح صلب فيه .

لنوكس : لقد جاء جليل المقام صاحب روس .
أى روح خلال عينيه يبدو !
هكذا نظرة امرئ جاء يروى
قصصاً من عجائب الأحداث .

روس : يحفظ الله الملك .

دنكان : ليت شعرى يأيها السيد الفاضل
من أى وجهة أقبلت ؟

روس : جئت من «فيف» أيها الملك الأعظم .
فيها أعلام نرويج تُزهى
وتسوم السماء هزءاً وسخرا .
كلما رفرفت أراحت على الناس
وألقت على الحفائظ بردا .
وغزانا بنفسه ملك النرويج
فى جحفل يروّع عدا .
وأتته الأمداد من ذلك الأخون فى الخائنين —
صاحب قودور .
ثم دار الصراع فى غمرة اليأس ،
إلى أن أتى عروس بِلونا[1] ،

---

(١) بلونا إلهة الحرب والمقصود بعروسها مكبث .

وعليه سربال درع منيعة .
فتصدى له نزالَ قرينين
أرادا قياس نفس بنفس .
سيفه ضد سيف ذلكم الثائر ،
ثم الذراع ضد الذراع ،
فخزاه وغض من زهوه البالغ ،
ولاختم بأنا انتصرنا .

دنكان : يا لها من سعادة موفورة !

روس : عند هذا أفاء للحق إسوينه ملك النرويج
يرجو اتفاقا .
غير أنا لم نرض عن دفن قتلاه ،
إلى أن يأتى إلى إنش كولم[1] ،
فيؤدى هناك عشرة آلاف ريال
غنيمة للبلاد .

دنكان : ما لهذا الأمير قودر يوماً
بعد هذا أن يستطيع خداعى ،
عن شئون عزيزة فى فؤادى .

---

(١) موضع على شاطىء إيقوسيا فيه كنيسة قديمة وكانت تعد موطناً مباركاً .

قم فأعلن أن سوف يلقى عقاب الموت
حتماً عليه بعد قليل .
ثم بشر مكبيث باللقب المنحل عنه .

روس : سأنفذ الأمر توّاً ،

دنكان : ما يكن من خسارة عند هذا ،
كان غنماً لصاحب النبل مكبث .

(يخرجون)

الفصل الأول

المنظر الثالث

رعد . تدخل الساحرات الثلاث .

الساحرة الأولى : يا أخت من أين جئت ؟

الساحرة الثانية : من ذبح خنزيراتى .

الساحرة الثالثة : وأنت يا أخت أين ؟

الساحرة الأولى : زوجة بحار أتت ، فى حجرها كستنة .

تمضغها تمضغها ، تمضغها ممعنة .

قلت لها أعطينى ، فقالت اتركينى .

وصرخت بى ثائرة : هيا ابعدى يا ساحرة .

المرأة الرعناء ، آكلة الأقذاء .

وزوجها إلى حلب ، فى « النمر »[1] رباناً ذهب .

سأستقل منخلا ، أُبحر فيه عاجلا ،

وصورتى أقلبها ، كفأرة بلا ذنب .

وسوف آتى ، سوف آتى ، سوف آتى بالعجب

الساحرة الثانية : وسوف أهدى لك ريحاً .

---

(١) اسم سفينة .

الساحرة الأولى : أنت حقاً طيبة !

الساحرة الثالثة : وأنا أهدى لك أخرى .

الساحرة الأولى : عندى أنا كل الرياح الأخرى ،

وكل ما تهب فيه من ثغور .

كل نواحيها التى تعرفها ،

فى خرطة البحار فى كل البحور .

سأنزف الدماء منه ، كى يجف كالهشيم .

ولن ينام ليله ، ولا نهاراً يستنيم .

وسوف يغدو جفنه كسطح سقف مائل ،

ينحدر النوم عليه ، كانحدار السائل .

وسوف يحيا رجلا ، أيامه سود كئيبة .

تسع مرار تسعة من سبع ليلات عصيبة .

حتى يشف ذابلا ، ويضمحل ناحلا .

وإن تكن سفينه ، من الضياع ناجية .

فسوف تلقيها على الجنبين ريح عاتية .

ألا انظروا ما عندى !

الساحرة الثانية : هاتى أرينى هاتى .

الساحرة الأولى : هنا معى إبهام نوتى ،

تحطمت سفينه وهو سارى ،

فى رحلة العودة للديار . (طبل من الداخل)

الساحرة الثانية : أسمع طبلا يطبل ، مكبث هذا يقبل .

الجميع : الأخوات الساحرات يدهن فى يد .

السائحات فوق كل لجة وبلد .

يدرن هكذا ، كما ندور وندور .

لك ثلاث وثلاث لى ، ومثلها ثلاثة .

تصير منها تسعة .

فأنصتوا قد عقد السحر وصحت التعزيمة .

(يدخل مكبث وبنكو)

مكبث : إننى ما رأيت من قبل يوماً مثل هذا ،

بقبحه وبحسنه .

بنكو : يا ترى أين نحن من فورز الآن ؟

ولكن من ذا يكون أولئك ؟

شد ما هن ضامرات !

وما أغرب أشكالهن فيما لبسنه !

لسن فى صورة الأناسى فى الأرض ،

وإن كن قد أقمن عليها .

ــ أحياة فيكن ؟

أو خلقة يطلب منها الإنسان رد السؤال ؟

بل كأنى بكن تفهمن قولى :
إن كلا تمد أصبعها الجعدة توّا
لمشفر من جلود .
قد أراكن نسوة ،
لكن اللحية تأبى أن تُعتبرن نساء .

مكبث : فتكلمن إن وجدتن للقول سبيلا ،
وقلن من انتنّه .

الساحرة الأولى : مرحباً مكبث مرحى !
لك يا رب جلامس !

الساحرة الثانية : مرحبا مكبث مرحى !
لك يا صاحب قودر !

الساحرة الثالثة : مرحبا مكبث يا من
سوف تغدو ملكاً !

بنكو : فيم أجفلت أيها السيد السمح ،
كما لو تخاف أمراً كهذا ،
صوته لا مراء نغم جميل .
(للساحرات) — إيه ناشدتكن بالصدق ،
هل أنتن خلق الأوهام ، أو هو حق
ذلك الظاهر الذى تبدينه ؟

فزميلى النبيل قد فاز منكن ببشرى
عن حاضر مسعود ،
وبمستقبل عظيم من المجد ،
وتأميل مالكه للبلاد .
وكأنى به لذلك قد هام وراء الخيال
فى آماله ،
حين حظى من قولكن السكوت .
فلئن كان عندكن اطلاع
فى بذور المحجوب طىَّ الزمان ،
وعرفتن أيها يخرج النبت ،
وأىٌّ منها يظل عقيما ،
فتنبأن لى ، فلست لأرجوكن حبّاً ،
ولا أخاف كراهة .

الساحرة الأولى : مرحبا !
الساحرة الثانية : مرحبا !
الساحرة الثالثة : مرحبا !
الساحرة الأولى : دون حظ مكبث ،
ثم أسمى وأسنى .
الساحرة الثانية : ليس مثل سعده ،

وأنت منه أسعد .

الساحرة الثالثة : سوف تنجب الملوك ،
ولن تكون ملكا .
كل مرحى لكما ، لمكبث وبنكو .

الساحرة الأولى : حيّ بنكو . حيّ مكبث .

مكبث : أيها الناقصات قولا ، تريثن مليّا ،
وزدن لى قولكنّه .
قد عرفنا أنى غدوت أميراً لجلاميس ،
بعد أن مات « سينل» .
غير أن الأمير «قودر» حيّ ،
لم يزل سيداً سعيداً مجيدا .
كيف أغدو إذن أميراً لقودر ؟
ومقام الملوك ليس بأدنى لحدود الإمكان
من أمر قودر .
وإذن فلتقلن أنّى أتيتن
بتلك التكهنات الغريبة ؟
أو لماذا تقفننا
كى تبشرن بأمثال هذه التنبؤات ،
فوق هذى الأباطح الجرداء ؟

فهيا قلن . آمركنّه .

(تختفى الساحرات)

بنكو : إن للأرض كالمياه فقاقيع ،

وهاتيك بعضها . أين غابت ؟

مكبث : فى ثنايا الهواء .

ما لاح جسماً ، ذاب مثل الأنفاس بين الرياح .

ليتّها لَبِثَت .

بنكو : وهل كان شىء ها هنا ماثلاً نُحدث عنه ؟

أم طعمنا عشباً وبيلا ،

يكون العقل فى أسره سجينا ؟

مكبث : سيغدو

من بنيك الملوك .

بنكو : بل أنت تغدو ملكا .

مكبث : بل أمير قودر أيضا .

أو ما قيل هكذا ؟

بنكو : هكذا قيل . . .

وحقا بالنص نغماً ولفظاً . . . من هنا ؟

(يدخل روس وانجوس)

روس : قد تلقّى المليك أنباء توفيقك مكبيث

باغتباط عظيم .

ولقد كان إذ يطالع ما أبديت
من جرأة بحرب العصاة ،
يتبارى فيه التعجب والإعجاب ،
أىٌّ له وأىٌّ نصيبك .
ثم ألقى بنظرة تشمل اليوم ،
وأحداث سائر الميدان ،
فعراه ما عاق نطق لسانه .
فلقد كنت فى صفوف من النرويج ،
تلقى منها قتالا عنيفا ،
لم يرعك الذى تفنَّنت فيه
من تصاوير فذة للهلاك .
وتوالى البريد كالبرد الهاطل ،
فوجاً وراء فوج سراعا ،
كلها يحمل الثناء لما أديت للملك
من دفاع مجيد .

أنجوس : وبُعثنا من عند سيدنا الملْك ،
لنهدى شكرا وما هو أجرا ،
ما أتينا إلا لنمضى سعاة معكم
نحو ملتقى أنظاره .

روس : وإليكم حملت عربون مجد ،
سيليه من بعد ما هو أسنى .
فبأمر منه بعثت أناديك
برسم الأمير صاحب قودر .
فأحييك أيها السيد الأكرم ،
وانعم بذلك الإنعام ،
إنه حقك الذى تستحقه .
بنكو (وحده): كيف هذا ؟ أيصدق الشيطان ؟
مكبث : غير أن الأمير قودر حىّ .
فلماذا تأتوننى بلباسٍ
أرتديه من خِلعة مستعارة ؟
أنجوس : إن من كان منذ حين أميرا ،
إن يكن ما يزال من بعد حيًا ،
فهو يقضى حياته تحت وقر من عقاب
يقضى بفقد الحياة .
لست أدرى أكان حِلفاً مع النرويج ،
أم كان للعصاة معينا ،
باعثاً فى الخفاء بالعون والنصح إليهم ،
أم كان هذا جميعا ،

يبذل الجهد فى دمار بلاده ،
فخياناته العظام ،
التى دل عليها الإقرار والبرهان ،
قد أطاحته .

مكبث (لنفسه): من جلاميس للقودر ، ثم الأجلّ يأتى أخيرا ،
(إلى أنجوس وروس) لكما الشكر للعناء .
(لبنكو) أما تأمل فى أن يغدو بنوك ملوكا ،
منذ ألفيت أن من جعلوا منى
أمير القودور ، قد وعدوهم
أملا لا يقل عنه علاء ؟

بنكو : إن هذا قد يوقد النار فى قلبك للتاج ،
إن تثق فيه حقّا !
منذ قد صرت صاحب القودور ،
غير أنى أراه أمراً عجيبا !
ولقد طالما أرادت قوى الظلمة
أن تستميلنا للضلال .
فتنبّى لنا بصدق ،
وتغرينا بشىء من الضئيل الحلال ،
ثم تهوى بنا خداعا

إلى أعمق مهوى من الضلال البعيد .

(للرسولين) — يا بنى العم ، لى حديث قصير

فأذنا .

مكبث (لنفسه) : بشريان صادقتان !

قيلتا مثل مطلعين بديعين ،

لفصل مؤثر فى رواية ،

فيه موضوع صولة السلطان .

(للرسولين) — لكما الشكر أيها السيدان .

(لنفسه) إن هذا وحى من الغيب ،

لا أدرى أشر يكون أم هو خير .

فإذا كان فيه شر ، فما السر

بأنى أعطيت عربون فوزى ،

بادئ البدء فى حديث صحيح ،

منذ أصبحت صاحب القودور ؟

وإذا كان فيه خير ، فما سر خضوعى

لذلك الإغراء ؟

إن شعرى يقِفُّ منه ،

لما يبعث عندى من المرائى الفظيعة ،

مستفزاً قلبى الثبيت إلى صدع ضلوعى ،

على خلاف الطبيعة .
إن وقع الأخطار إن جئن ، لايبلغ
وقع الأهوال فى الأوهام .
فخيالى ، وإن تكن فكرة القتل التى فيه
لم تزل بعد وهما ،
زلزل العزم والتماسك
فى طبع رجوليتى ، وأزهق وعيى ،
فى غمار الوساوس النكراء .
لم يعد لى من كائن فى وجودى ،
غير ما ليس كائناً فى الوجود .

بنكو : شاهدا ذلك الزميل غريقاً بين أفكاره .

مكبث(وحده) : ولو شاء حظى
أن أُوَلَّى مُلْكا فليس بعيداً
أن حظى يستطيع تتويج رأسى ،
دون سعيى .

بنكو : تلك المعالى التى جدت عليه ،
مثل الثياب الغريبة ،
لا تسوى على القوالب إلا
بعد تطويعها بالاستعمال .

مكبث(وحده) : فليكن ما يكون .
فالوقت والساعة إن أقبلا ، ألمّا ومرّا ،
فى أشد الأيام كرباً وشرّا .

بنكو : أيهذا الكريم مكبث ، ها نحن هنا ،
واقفون رهن فراغك .

مكبث : عفوكم ، إنها بلادة ذهنى ،
شغلتنى فى بعض ما قد نسيته .
سادتى الأكرمين نلتم عناء ،
سوف يبقى مسجلا فى فؤادى ،
حيث أتلو جميلكم ،
كلما قلبت من صحيفة كل يوم .
فهلموا إلى المليك .

(لبنكو) — : وفكر أنت فيما جرى بوقت فسيح ،
فإذا ما وزنته بعد حين ،
فليحدث كل أخاه صريحاً
مفرغاً قلبه .

بنكو : بكل سرور .

مكبث : حسبنا الآن ريثما نتلاقى .
— أيها الأصدقاء هيا تعالوا .

(يخرجون)

الفصل الأول

المنظر الرابع

فورز . غرفة فى القصر . موسيقى عسكرية . يدخل دنكان ولنوكس وملكولم ودنالبين وأتباع

دنكان : أوَما نفذت عقوبة قودور ؟
أعاد الموكلون بأمره ؟

ملكولم : لم يعودوا مولاى ،
لكننى حدثت قوماً ممن رأوا إعدامه .
قيل لى إنه أقر صريحا
بخياناته أتم الصراحة .
لم يزنه مدى الحياة رواء ،
مثلما زانه فراق حياته .
فلقد مات مثل من درس الأمر ،
لتمثيل موقف عند موته .
إذا رمى بالأعز مما لديه ،
مثلما لو رمى زهيداً ضئيلا .

دنكان : ليس للناس حيلة تجعل المكنون فى العقل
بادياً فى الوجوه .

إنه كان سيداً من ذوى النبل ،
عليه بنيت كل اعتمادى .
(يدخل مكبث وبنكووروس وأنجوس)
(لمكبث) يابن عمى الأجل ،
ما زال ذنبى مثقلا كاهلى لقلة شكرى .
أنت حلّقت عاليا ،
فلو اشتد جناح الجزاء فى إسراعه ،
لرأيناه مبطئاً عن لحاقك .
قد تمنيت لو يكون الذى استحققت ،
أدنى مما بلغت سناء ،
فيكون الجزاء والشكر بالقدر
الذى أستطيع فيه وفاء .
غير أنى لم يبق لى غير قولى :
إن ما تستحقه من جزاء ،
فوق ما فوق طاقة الناس طرّا ،
من قيام بحقه فى الأداء .

مكبث : أنا فى خدمتى وواجب إخلاصى ،
ألاقى الجزاء فيما أؤدى .
ولمولاى أن يمن علينا ،

بقبول الولاء والإخلاص .
ما نؤدى من واجبات علينا
نحو عرش المليك فى ظل ملكه ،
شأنها كالبنين والأتباع !
ليس ما يفعلون إلا قياماً
بالذى ينبغى عليهم أداؤه .
فيؤدون كل شىء ، ليبدوا
آية الحب نحوكم والكرامة .

دنكان (لبنكو) : مرحباً ! ها هنا غرستك عوداً ،
وسأسعى حتى تتم وتزكو .
إيه بنكو النبيل ، ما أنت أدنى
فى غناء ، ولست أدنى بلاء ،
من مقام يشاد فيه بفضلك .
فتقدم لتحتويك ذراعىّ لصدرى ،
وتستقر بقلبى .

بنكو : سيدى إن نما هنالك عودى ،
فجناه إليك وحدك حقًا .

دنكان : إن فيض السرور يفعم قلبى ،
جائشاً فيه ، يبتغى أن يدارى

نفسه فى مدامع الأحزان .
يا بنى اعلموا ، وأبناء عمى ،
أمرائى ، وأقرب الناس منى .
قد جعلنا ولاية العهد
للأكبر من بين أبنائنا — ملكولم .
وأمرنا بأن يسمى من الآن
برسم الأمير كمبرلاند .
غير أن التشريف لم يك وقفاً ،
يتجلى عليه دون قرين ،
فينال التكريم فذًّا وحيداً .
بل وسام العلا سيلمع كالنجم
على كل مستحق جدير .
فهلموا بنا إلى قصر أنفرنس ،
نزدد هناك قرباً وودًّا .

مكبث : إنما راحتى عناء
إذا لم يكن فيها لكم قيامى وسعيى .
سأكون الرسول أسعى بنفسى ،
لأزف البشرى إلى سمع زوجى ،
إنكم قادمون بعد قليل .

فاسمحوا لى مستأذناً فى خشوع .

دنكان : دمت لى قودر الكريم .

مكبث : لقد صار أميراً برسم كمبرلند !

إنها خطوة من الحتم أن أسقط فيها ،

إن لم أثبها وثوبا .

إحجبى يا نجوم نارك ،

حتى لا تتيحى للنور إبصار ما بى ،

من عميق المطامع السوداء .

واغفلى عن يدىّ يا عين ،

وليحدث من الأمر ما تحاذر عينى ،

فإذا ما انقضى رأته عيانا . (يخرج)

دنكان : هو حقاً كما وصفت من الإقدام ،

يأيها المعظم بنكو .

إننى من مديحه أتغذى ،

وكأنى به احتفال الوليمه .

فهلموا نلحق بهذا الذى بادر تكريمه

وحسن احتفائه ،

كى يؤدى لنا تحايا القدوم .

إنه لابن عمنا الأوحدى . (عزف موسيقى ويخرجون)

الفصل الأول

المنظر الخامس

أنفرنس . قصر مكبث . تدخل زوجة مكبث وحدها تقرأ خطاباً :

جاءنى هؤلاء فى غدوة النصر ، وكان الذى علمت يقيناً من وثيق الأخبار ، أن لديهن من العلم فوق ما للأناسى . فتحرقت عند ذلك شوقاً أن أوالى لهن بعض السؤال . فإذا هن يستحلن هواء ، واختفى شخصهن فيه سريعاً . فتوقفت ذاهل اللب بالدهشة منهن ، إذ بوفد أمامى ، جاء من حضرة المليك ، يحيينى هتافاً : « مرحى لصاحب قودر » .

ولقد كانت السواحر من قبل دعتنى بمثل هذا النداء ، حين أوحت إلى بالزمن الآتى فقالت « مرحى ستغدو مليكاً » .

يا شريكى الأعز ، فى كل مجدى ، قد بدا لى إرسال هذا إليك حذراً أن يضيع حقك فى السعد ، إذا ما جهلت ما قد (وُعدتَه) ، من جلال و ياله من جلال . فاحفظى فى قرار قلبك هذا ، واسعدى .

زوجة مكبث : أنت هذا أصبحت رب جلاميس ، فقودر ،

ولتبلغن ما وُعدتَه .

غير أنى أخاف طبعك ،

إذ فاض بالبان رحمة الإنسان .

ولهذا فلست تمضى إلى قصدك

من أقرب المسالك نحوه
تتمنى مجداً ، ولست بخلو من طموح ،
لكن بغير أثامه .
وترجى أعز شىء ،
ولكنك ترجوه طاهراً مبرورا .
تتأبى مسالك الغدر ،
لكنك ترضى لو جاءك الفوز ظلما .
يا جلاميس يا عظيم ،
لقد ترغب أمراً يقول « هذا طريقى ،
فاتبعه إن شئت أن تبتغينى » .
وتريد المنى ، فتحجم عنها ،
خشية لا لرغبة فى العدول .
فهيا مسرعاً إلىّ ، لعلى
أفرغ الروح من جنانى بسمعك .
وعسانى بسطوة من لسانى ،
أطرد العائق الذى يتصدى لك ،
دون العصابة العسجدية .
قد بدا لى أن القضاء وعون الغيب ،
شاءا أن يعقدا لك تاجا .   (يدخل رسول)

الرسول : الملك آت ها هنا الليلة .

زوجة مكبث : أقد جننت إذ تقولها ؟

أليس مولاك هناك معه ؟

لو صح ما قلت لأدى به

إلىّ حتّى أستعد له .

الرسول : عفوك يا سيدتى صدقى ،

إن الأمير مقبل عن يقين .

علمت هذا الأمر من صاحب ،

أسرع حتّى فاته منذ حين .

أوشك أن يهلك فى جريه ،

ولم تكد أنفاسه أن تبين ، إلا بما يُفهم منه الخبر ،

زوجة مكبث : والوه بالإسعاف ، قد جاءنا

يحمل أنباء عظام الخطر . (يخرج الرسول)

زوجة مكبث : بح صوت الغراب ، لو أنه صاح

نعيبا ، بأن دنكان يسعى

تحت أسوار قلعتى نحو حتفه .

أقبلى أيها الشياطين ، يا من

تخدمين الخواطر الفتاكة .

وانزعى تـوّة عواطف جنسى ،

واملئنى بالقسوة السفاكة ،
من صياصى رأسى إلى طرف الإخمص ،
حتى يفيض منها كيانى .
وأحيلى دمى ثخيناً ، وسدى
كل باب ومسلك لضميرى ،
خشية من عواطف القلب أن تغشاه ،
كيلا تفل حد اعتزامى ؛
أو تؤدى إلى موادعة
بين ضميرى ، وما يريد قضاءه .
أقبلى يا عوامل الفتك ، من حيث تكونين
فى طيوف خفية ،
عاملات على دمار البرية .
وأزيلى ألبان صدرى النسائى ،
وألقى به عصير المرارة .
وتقدم يا حندس الليل ،
فالبس أقتم اللون من دخان الجحيم .
فعسى خنجرى المدبب إن أحدث جرحاً ،
ألا يشاهد جرحه .
وعسى النور لا يطل علينا ،

من ثنايا غيابة الإظلام ،
صائحاً امسكوا . (يدخل مكبث)
جلاميس ذا الرفعة ، قودور ذا المقام الجليل ،
ثم أسمى من قدر هذين من بعد ،
بمستقبل الجلال الأجل ،
من رسالاتك انتقلت إلى ما بعد يوم ،
وما به من جهالة ،
فأنا الآن أستشف من الحاضر مستقبلا .

مكبث : أحب حبيب ،
إن دنكان مقبل ها هنا الليلة .

زوجة مكبث : لكن متى يكون مسيره ؟

مكبث : فى غد ، مثلما يريد .

زوجة مكبث : فلا كان لتلك الغداة شمس تراها .
يا أميرى ، كأن وجهك سِفر ،
يقرئ الناس كل أمر عجيب .
فابد مثل الزمان تخدع زمانك .
اجعل البشر فى لسانك والعين ،
وفى الكف ، وابد كالزهر طهراً ،
وكن الصِّلّ تحت تلك الزهور .

إن هذا الذى سيأتى إلينا ،
ينبغى وضع خطة فى مصيره .
فضع الأمر فى يدى هذه الليلة ،
فى ذلك المهم الخطير .
إنها ليلة ستهدى
إلى كل توالى أيامنا والليالى ،
صولة الملك وحدنا والسيادة .

مكبث : سنوالى الحديث

زوجة مكبث : لكن تنبه ،
واجعل الوجه مسفراً ،
فاضطراب الوجه دوما دليل خوف الفؤاد .
وكِل الأمر بعد هذا إلىّه .

(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر السادس

قصر أنفرنس . أمام القصر . موسيقى ومشاعل . يدخل دنكان وملكولم ودنالبين وبنكو ولنوكس ومكدف وروس وأنجوس وأتباع

دنكان : ذلك القصر رائق الوضع ،
ينساب عليه النسيم حلواً رشيقاً .
نفحات يلذها الإحساس .

بنكو : هوذا ضيف موسم الصيف ،
حلال بيوت العبادة — الخطاف .
شاهداً باتخاذه عشة المحبوب ،
إن المكان فاح بعطر ،
يشرح الصدر من نسيم الجنان .
ليس فى القصر شرفة ، أو إطار ،
أو بروز ، ولا براح بركن ،
لم يقم فيه ذلك الطير عشاً ،
عالقاً فى الهواء ، مهداً لسربه .
إنه حيثما يطيب له الحل ،
ويبنى لزغبه أو كاره ،

نجد الجو مستساغاً رقيقاً .

(تدخل زوجة مكبث)

دنكان : انظروا . انظروا مضيفتنا الفضلى !
(للسيدة) ألا إن للمحب لشأناً ،
قد يؤدى لضيقنا أحيانا ،
حين يسعى متابعاً لخطانا
غير أنا برغم ذلك نسدى الحب شكراً ،
لأنه كان حبّا .
وبهذا المثال ألقى عليك الدرس ،
أن تسألى لنا الله أجرا ،
للعناء الذى تحملت ،
بل أثنى علينا من أجل هذا العناء .

زوجة مكبث : لو بذلنا ضعفاً لكل الذى نبذل ،
من خدمة لكم تفصيلا ،
ثم عدنا بضعفه ، لم يكن إلا قليلا ،
بل كان أمراً ضئيلا ،
لا يبارى ياذا الجلالة ما أغدقت
من فوق بيتنا من معالى ،
واسعات عميقة ، وسنبقى

أبداً فى ولائكم رهباناً ،
للأيادى التى وهبتم قديماً ،
وأضفتم لها علاء أخيرا .

دنكان : يا ترى أين صاحب القودور ؟
قد ركضنا فى إثره ،
وقصدنا أن نكون السعاة فى استقباله .
فوجدناه بارعاً فى الركوب .
ولقد كان حبه الجم ذا حد كمهمازه
حديد السنان ،
مستحثًّا له على سرعة العوْد
إلى أهل بيته سبّاقاً .
فأذنى لى يا ربة القصر ، ذات الحسن والنبل
أن نبيت ضيوفك .

زوجة مكبث : إن خدامكم إلى أبد الدهر ،
لكم نفسهم وما يملكونه .
والذى عندهم وديعة مال ،
رهن ما تأمرون ياذا الجلالة .
ليؤدوا عنه إليكم حساباً ،
وإليكم فى كل حال مآله .

دنكان : ناوليني يدا ، وسيرى بنا نحو مضيفى .
نعم الحبيب إلينا .
سنوالى إليه آى رضانا .
فإذا شئت ربة القصر هيا .

(يخرجون)

الفصل الأول

المنظر السابع

قصر مكبث . موسيقى ومشاعل . يدخل كبير الخدم وعدد من الأتباع يحملون أطباقاً ويمرون . يدخل مكبث .

مكبث : لو مضى الأمر وانقضى حين يُقضى ،
كان خيراً لو كان يقضى سريعاً .
لو طوى القتل فى حبائله العقبى ،
وصاد النجاح بعد اغتياله ؛
إن تكن ضربة هى الكل فى المبدأ ،
والكل ها هنا فى النهاية ؛
إن تكن ها هنا فحسب ،
على شاطئ هذا الضحضاح عبر الزمان ،
لجرؤنا مخاطرين على الوثب
إلى ضفة الحياة الأخرى .
غير أنا لا غرو فى هذه الأحوال
نلقى هنا جزاء وفاقاً .
إننا إذ نعلم الناس درساً
من دروس الدماء يحفظ عنا .

فإذا ما تعلموا الدرس ، عادوا
ليردوا لمبدع الطعن طعنا .
ذلك العدل منصف الحكم ،
يدنى كأسنا بالسموم من شفتينا .
إنه ها هنا تحرم منى
بأمان مضاعف الميثاق .
فأمان لأننى من رعاياه ،
وأنى من فوق هذا ابن عمه .
وكلا الحرمتين حرز منيع
دون إتيان ذلك العدوان .
ثم أنى مضيفه ، ينبغى لى
رد بابى فى وجه طالب قتله ،
ليس أن أحمل السلاح بنفسى .
وعدا ذاك ، إن دنكان هذا
قد تولى الأمور براً وديعا ،
طاهر الذيل فى عُلا سلطانه .
ولعمرى لسوف تنعى سجاياه
على وزر قتله المنكود ،
بلسان كالبوق مثل الملائك .

وسيأتى الإشفاق كالطفل بعد الوضع
عرياً ، فيمتطى إعصاراً .
وملاك السماء يأتى على صهوة خيل ،
شفافة من هواء ،
فيثيران فى العيون جميعاً
غبرات الجريمة الشنعاء .
فإذا الدمع يجعل الريح غرقى .
ليس لى شوكة لتهمز جنبَى همتى ،
بل مطامع وثابة ،
تتعدى فى قفزها ، ثم تهوى
بى إلى الجانب البعيد الفانى

(تدخل زوجة مكبث)

أى شىء ؟ أجئت لى بجديد ؟

زوجة مكبث : كاد ينهى عشاءه . فيم غادرت مكان الضيوف ؟

مكبث : هل يدعونى ؟

زوجة مكبث : أولم تدر أنه قد دعاك ؟

مكبث : إننا لن نسير فى ذلك الأمر ،
فقد نالنى بمجد قريباً ؛
وقد ابتعت من صنوف الورى جمعاء

طيب الأحدوثة الذهبية .
وجدير بها تكون رداء
أرتديه توًّا جديد الرُّواء ،
لا وشيكاً يلقى به منبوذاً .

زوجة مكبث : أوكان الذى كساك من الآمال
في سكرة تلاها السبات ؟
ثم هبت من نومها بعد حين ،
تكتسى كدرة واصفرارا ،
من أمور أتت بهن اختيارا ؟
أترجى بلوغ ما تتمنى
وترى فيه زينة لحياتك ،
ثم تحيا وأنت أنت تبدو جباناً ،
جاعلاً « لا أطيق » رد « لعلّى »
مثلما يضربون فى المثل السائر
وصفاً لقطة مسكينة :
« تتمنى حوتاً ولكنها تخشى
من الماء أن يبل يديها »[1] ؟

(١) إضافة من المترجم لإيضاح المعنى .

مكبث : عمرك الله أمسكى !
إننى أقوى على كل لائق بالرجال .
إن من قد يكون أجرأ منى
همةً لم يكن
زوجة مكبث : فأى بهيم
كان أوحى إذن إليك
بأن تفضى بما شرعت فيه إلىّه ؟
رجلاً كنت حين أقدمت فى الأمر جريئا ،
وكلما زدت بأسا ،
فوق ما كنت ، زدت بين الرجال .
كنت من قبل لا تتاح لك الفرصة ،
إن فى الزمان أو فى المكان .
ولقد كنت رغم ذلك تسعى
جهد ما اسطعت فيهما ليكونا .
أئذا ما تهيآ ، وتسنى
لك وجه التوفيق ينحل عزمك ؟
أنا أرضعت من لبانى ، وأدرى
رقة الحب للوليد الرضيع .
غير أنى لو كنت أقسمت فى الأمر يميناً

كما عقدت يمينك ،
ورنا الطفل باسماً نحو وجهى ،
لانتزعت الثدى الذى فى لثاه الغض ،
حتى أدق عظم دماغه .

مكبث : فإذا نحن قد عجزنا ؟

زوجة مكبث : عجزنا ؟
ليس إلا أن تبرم العزم ،
حتى يصل البَرْم للقرار المكين ،
ثم لا تخش بعد ذلك عجزاً .
فإذا ما أوى إلى النوم دنكان ،
ولا غرو أن ينام عميقاً ،
حين يدعوه جهد رحلة يومه ،
سوف أدلى بحجتى لغلاميه ،
بشرب المدام والأنخاب .
فإذا الوعى صاحب الأمر والنهى على الذهن
يستحيل بخاراً ،
وإذا الحيِّز الذى يحتوى العقل
خلاء كأنه الأنبيق .
فيصيران فى سبات الخنازير ،

طريحين يطفحان خماراً ،
ويناماان نومة الأموات .
أترانا نعيا كلانا بما نبغى بدنكان
خالياً من جنوده ؟
أم ترانا نحار أن نلقى الوزر
على رأس جنده المخمور ؟
فيبوءون بالجريمة فيما قد أصبنا
بالطعنة النجلاء .

مكبث : لا تكونى أمًّا لغير الرجولة !
إنما ينبغى لمعدنك المقدام
ألا يصوغ غير الذكورة !
أئذا نحن قد وسمنا الطريحين
على بابه بوسم الدماء ،
واستعنا بذاتى الخنجرين ،
أفلا يأخذون هذا على أن غلاميه
قد أسالا دماءه ؟

زوجة مكبث : أين من يستطيع أن يأخذ الأمر
على غير ذلك التأويل ؟
إننا عند موته سنُدَوِّى

بتباريح من جوى وعويل .

مكبث : أنا هذا قد استقر بى الرأى ،
وأرهفت كل أعضاء جسمى ،
نحو تلك الكبيرة الفدّاحة .
فهيا للأمام واسخر من الناس ،
بأبهى المظاهر الخلابة .
إن وجه الخداع لا بد أن يكتم
سر الضمائر الكذابة .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الأول

أنفرنس . فناء قصر مكبث . يدخل بنكو وفلنس ابنه يحمل مشعلاً .

بنكو : يا ترى كم مضى من الوقت يا بنى ؟

فلنس : قد توارى فى المغرب القمر الآن ،
ولم أستمع لدق الساعة .

بنكو : قد أراه يغيب منتصف الليلة .

فلنس : بل يا سيدى بعد هذا ،

بنكو : قف قليلاً لتأخذ السيف منى .
ما أشد التقتير فى قبة الأفلاك ،
إذ أطفأت شموع السماء !
خذ — تناول هاتيك أيضاً ،
فداعى النوم فوق مثل الرصاص ثقيلا .
غير أنى لا أستطيع رقادا ،
يا قوى الرحمة ، إكبحى شر ما بى

من لعين الوسواس فى أفكارى .
إننى كلما أويت إلى الراحة ،
أخلت سبيله أغوارى .
هات سيفى ، من ذا هناك ؟

(يدخل مكبث وخادم معه مشعل)

مكبث : صديق .

بنكو : كيف هذا يا سيدى ؟ لم تنم بعد ؟
وقد صار للفراش المليك ؟
إنه ظل فى سرور وأنس ،
فوق ما اعتاد فى مجالى سروره .
ولقد أرسل العطاء جزيلاً ،
لمواليك بالهدايا الحسان ،
ثم أهدى لزوجكم هذه الماسة ،
رمزاً للشكر والإجلال ،
ودعاها باسم « المضيف العطوف » .
إنها ليلة قضاها سعيداً
ومضت فى هناءة لا تحد .

مكبث : قد فجئنا لم نستعد ،
فأضحى عزمنا خاضعاً لحكم القصور ،

أو لقد كان يستعد طليقاً .

بنكو : كل ما كان طيب . . .

زارنى الليلة طيف الثلاث الساحرات .

ولعمرى لقد تبين مما قلنه عنك

آية التصديق .

مكبث : إننى صرت لا أفكر فيهن .

ولكن لو استطعنا فكاكاً

من أداء الأعمال وقتاً قليلا ،

لقضيناه فى حديث قصير ،

حول تلك المهمة المعهودة ،

لو سمحتم بالوقت .

بنكو : إنى رهين الأمر ،

إمّا فرغت من أعمالك .

مكبث : وإذا كنت تطمئن لنجواى ،

إذا ما أتى أوان الأمور ،

فستوفى معى على شرف المجد .

بنكو : إذا كنت لا أضيع مجدى ،

عند سعيى إلى زيادة مجدى .

فإذا كنت سوف أبقى على طهر ضميرى ،

وفى صفاء ولائى ،
فسأصفى لك المودة صرفاً .

مكبث : نم هنيئاً أثناء هذا .

بنكو : لك المثل وشكراً يا سيدى .

(يخرج بنكو)

مكبث :(للخادم) رح فأبلغ مولاتك الآن عنى ،
أنها عند ما تُعد شرابى ،
فلتدق الناقوس . واذهب لنومك .

(يخرج الخادم)

(وحده) : أوَهذا الذى أراه أمامى
خنجر مد مقبضاً ليمينى ؟
جئ ، ودعنى أقبض عليك بكفى .
لم أضع قبضتى عليك !
ولكن مع هذا أراك ما زلت دونى .
أفما أنت أيها الشبح المشئوم ،
مما تحسه الكف لمساً ،
مثلما قد تُحَس بالإبصار ؟
أم ترى أنت خنجر من خيال العقل ،
خلق مزيف مكذوب ،

صنع ذهن أعياه وقد الحرارة ؟
إننى ما أزال أبصر فى شكلك
جسماً مجسداً ملموساً ،
مثل هذا الذى أجرد نصله .
جئت تهدى خطاى نحو طريق
كنت أزمعت أن أيمم شطره .
أو تريني تلك الأداة ،
التى كان من الحتم أن تكون أداتى .
أوصارت عيناى أضحوكة السخر
لكل الجوارح الأخريات ؟
أم هما تعدلان فى دقة الإدراك
شتى جوارح الإحساس ؟
أنا هذا أراك ما زلت دونى !
قطرات الدما بنصلك والمقبض ،
ما كن هكذا منذ حين !
بل لعمرى ما فى الحقيقة شىء
مثل هذا الذى يلوح أمامى .
إنه الشاغل الملح لسفك الدم ،
يوحي بمثل هذا لعينى .

إننا الآن والطبيعة تبدو
ميْتة ، فوق نصف هذا الوجود .
غير أن الرؤى الخبيثة ما تبرح
تغرى النيام خلف الستور ،
وبجنح الظلام ينعقد السحر ،
مقيماً شعائر القربان ،
(لهكات) الجنيّة الصفراء .
ويهب الفتّاك كالشبح الذابل ،
والذئب قائم يرعاه ،
بعواء كصيحة الديدبان .
هكذا فى خطى التلصص يمشى ،
مثل طرقين[1] فى خطا عدوانه .
قاصداً نحو مبتغاه ،
كما ينساب طيف الأرواح فى سريانه .
أيها الأرض ، ياذلول على السير ،
وذات الدعائم الراسخات
لا تصيخى سمعاً إلى خطواتى ،

(١) طرقين ابن آخر ملوك روما فى الأساطير وكان فجوره سبباً فى طرد أبيه من روما .

واجهلى أين وجهة الخطوات .
خشيَة من حديث أحجار حصبائك
عن سر وجهتى ومسيرى .
فتَتُجلَّى سحابة الهول عن وقتى ،
ووقتى ملائم لشعورى .
أنا ما لى أرغي وعيدا ،
ولن يبرح حيًّا ما دمت فى أقوالى ؟
إن هذى الأقوال تبعث أنفاساً رطاباً ،
يطفئن حر الفعال .   (يدق جرس)
أنا هذا ماض ، وقد كان ما كان ،
وهذا الناقوس داع دعانى .
إيه دنكان ! لا سمعت ! فهذا جرس الموت
صائحاً بالنذير .
داعياً للنعيم أو للسعير . (يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

المنظر نفسه . تدخل زوجة مكبث

زوجة مكبث : الذى أسكرهم جرأنى ،
والذى أطفأهم أوقد نارى .
ما الذى أسمع . صمتاً !
إنها كانت البومة صاحت بالنعيب ،
هى داعى الشؤم تُلقى بسلام الليل ،
فى أرهب تسليم رهيب .
إنه الآن على الأهبة ، والأبواب حرة .
ويغط الحرس المفعم ملء الجوف خمرة ،
ساخراً من واجب كان منوطاً بأدائه ؟
منذ بنجت له خمر مسائه .
فالهلاك والبقاء ،
فى صراع حولِهم إما حياة أو فناء .

مكبث (من الداخل) : من هناك ؟ أنت هو !

زوجة مكبث : وامصابا ! أخشى من القوم لو هبوا ،
ولما تم تلك المهمة .

إنه فى الشروع ، لا فى تمام الفعل ،
ما قد يصيبنا من مُلمـَّة .
أى صوت هذا ؟
وضعت سلاح القوم ملقى أمامه مستعدًّا ،
لست أخشى ألا يراه حياله .
ولعمرى لو لم يكن يشبه الوالد فى نومه ،
لكنت قتلته .
ذاك زوجى ! (يدخل مكبث)

مكبث : إنا فرغنا من الفعل .
ألم تسمعى هنالك حسًّا ؟

زوجة مكبث : قد سمعت النعيب من صرخة البوم ،
وصوت الصرصور . هل قلت شيئاً ؟

مكبث : ومتى ؟

زوجة مكبث : الآن .

مكبث : فى نزولى ؟

زوجة مكبث : نعم .

مكبث : صه ! خبرينى من فى المكان الثانى .

زوجة مكبث : دنالبين .

مكبث : (ناظراً إلى يديه) إن هذا مرأى أسيف .

زوجة مكبث : هو السخف إذا قلت عنه مرأى أسيفاً .

مكبث : منهما واحد تضاحك فى النوم ،

وصاح الثانى « جريمة قتل ! »

وعلى ذاك أيقظ الواحد الآخر ،

بينا وقفت أصغى مليًّا .

ثم عادا يصليان ، ومالا

يستعدان ثانياً للرقاد .

زوجة مكبث : إن بين الجنود حقًّا رفيقين ،

يحلان مخدعاً مستقلا .

مكبث : واحد صاح « رب بارك علينا »

وتلاه الثانى بـ « آمين ربى » .

مثلما لو تبيَّنانى ،

وكفاى تلوحان مثل راحتَى جلاد .

وعلى حين كنت أسمع ما قالاه فى الخوف ،

لم أقل آمين .

زوجة مكبث : لا تعر ذلك التفاتاً كبيراً .

مكبث : لست أدرى ما كان سر امتناع النطق عنى ،

فلم أقل « آمين »

حين قالا « يارب بارك علينا » .
بينما كنت للدعاء فقيراً ،
غص حلقى بلفظة « الآمين » .

زوجة مكبث : مثل تلك الأعمال لا يحسن التفكير فيها
بذلك المنوال ؛
أو يؤدى تفكيرنا للخيال .

مكبث : وكأنى سمعت صوتاً ينادى :
« لا تنم بعد آخر الدهر مكبث » .
إن مكبيث أزهق النوم قتلا ؛
ذلك النوم وهو طهر برىء .
إنه النوم كلما عقّد الهم
خيوط الأشجان سوّى سداها .
هدأة الموت كل يوم من العمر ،
غسول القروح للمكدود ،
بلسم البؤس والضنى للعقول .
والطعام الثانى[1] الذى اعتدته
وجبات الطبيعة الفياضة ،
والمغذى الأوفى بحفل الحياة .

---

(١) الطعام الثانى فى الوجبة هو الطعام الرئيسى عادة .

زوجة مكبث : لست أدرى ماذا تريد بقولك ؟

مكبث : واستمرت تصيح من بعد هذا :

لا تنم بعد آخر الأيام .

ثم صاحت بأهل بيتى جميعاً :

« إن قودور لن يرى النوم ،

ما دام جلاميس أزهق النوم قتلاً »

لن يرى النوم سائر الدهر مكبث .

زوجة مكبث : ما الذى صاح هكذا ؟ ورويداً !

فيم توهى يا أيها السيد الأمجد

من عزمك القوى الجليل ؟

حين تمضى فيما تفكر فيه ،

من أمور طوعاً لذهن كليل .

فالتمس ثمّ بعض ماء وطهر

منه عن راحتيك خُبث الدليل .

فيم أقبلت بالخناجر هاتيك

من الموضع الذى كن عنده ؟

هى لا بد أن تظل هنالك .

فامض حتى تعيدها ، ثم لطخ

بدماء تلك الجنود الطريحة .

مكبث : لا فما كنت ذاهباً بعد هذا .
أنا أخشى تذكار ما كان منى .
ليس لى جرأة على رؤية المنظر
من بعد .

زوجة مكبث : ناكل عن مراده !
هاتها أنت . إن من نام أو من مات سيّان .
هم تهاويل رسم .
هى عين الأطفال
ترهب أن تبصر فى الرسم صورة الشيطان .
قد أسيلت دماؤه ،
وسأطلى بدماه وجوه تلك الجنود .
فلعمرى لا بد أن ينطلى الأمر ،
فتُعزى للجند تلك الجريمة

(تخرج ويسمع دق من الداخل)

مكبث : ليت شعرى من ذا يدق على الباب ؟
وما لى لكل صوت أطير ؟
أى شىء تلك الأيادى حيالى ؟
مالها ! إنها لتسمل عينى !

أترى تستطيع لجة « نبتون »[١]
على وسعها تنظف كفى ،
وتزيل الدماء عنها ؟
ولكن لا . فهيهات إن كفى أحرى ،
أن تحيل اللج العظام صعيداً قرمزيًّا ،
وتجعل الخضر حمراً

(تعود زوجة مكبث)

زوجة مكبث : إن كفّىَّ مثل كفيك لوناً .
غير أنى لأستحى لو تلبَّست
بقلب فى مثل هذا البياض[٢] .

(دق من الداخل)

عند باب الجنوب أسمع دقًّا ،
فلنبادر لمخدع النوم توًّا .
وقليل من المياه تزيل الجرم عنا ،
وإن هذا يسير .
غير أنى أرى ثباتك ولى عنك ،

---

(١) نبتون من آلهة القدماء وهو عندهم إله البحر .
(٢) بياض القلب عند شكسبير رمز لانعدام الدم فيه ويقصد بذلك معنى الجبن . وهو يستخدم لهذا المعنى كذلك بياض الكبد .

حتّى خلاك دون جنان .

(دق من الداخل)

صه ! فإنى سمعت دقًّا جديداً ،
فهيا اجعل عليك مئزر نومك .
فلعل الأحوال تقضى بأن نظهر ،
كيلا يقال كنا سهارى .
وتماسك ، فلا يضل بك الفكر
إلى مثل ذلك الإسفاف .

مكبث : إن خيراً لدى لو ضل فكرى
عن وجودى ، فلا أحس بجرمى .

(دق من الداخل)

أيها الطارق الملم هلاّ أيقظت دنكان
يستجيب لصوتك .
لتمنيت لو قدرت .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

المنظر نفسه . يدخل البواب . دق من الداخل

البواب : أما إنه لدق عنيف ، ولكن الإنسان ما دام بواباً على جهنم فلا بد له أن يكون ماهراً فى إدارة المفاتيح .
(دق من الداخل) ما هذا ؟ خبط خبط خبط !
من هناك ، بحق الشيطان بعلزبول ؟ لا بد أن هذا هو الفلاح الذى شنق نفسه من أجل انتظار الغنى .
قد جئت فى الوقت المناسب وعليك أن تحضر معك مناديل كثيرة فإنى سوف أعرّقك هنا. (دق من الداخل)
خبط خبط ! من هناك بحق الشيطان الآخر ؟ لا شك أن هذا أحد المدلسين الذين تسمح ضمائرهم أن يحلفوا على كل من كفتى الميزان أنها الراجحة . هؤلاء يجتهدون فى التدليس لوجه الله ، ومع ذلك فإنهم لم يفلحوا فى التدليس لدخول الجنة . تعال عندى يا حضرة المدلس (دق من الداخل) خبط خبط خبط ! من هناك ؟ آه بحق . هذا هو الخياط الإنجليزى الذى هرب إلى هنا بعد أن سرق قطعة من رجل سروال

فرنساوى . تعال يا حضرة الترزى . هات بطتَك[1] هنا
لتقليها (دق من الداخل) خبط خبط خبط ! ألا
يمكن الإنسان أن يهدأ هنا ؟ من أنت ؟ لآ . . . ه .
هذا مكان فى غاية البرود ولا يصلح أن يكون مقراً
للجحيم ، ولا أحب أن أبقى فيه بواباً للزبانية . كان
بودى أن يشرف هنا مندوبون عن كل مهنة محترمة ممن
يسيرون على طريق الورد إلى احتفال النيران الأبدية
(دق من الداخل) انتظر يا سيدى . حالا حالا .

(يفتح الباب)

(يدخل مكدف ولنوكس)

مكدف : أتماديت ساهراً يا صديقى قبل نومك ؟
فتماديت نائماً مثل هذا قبل صحوك ؟

البواب : قسما سيدى ، لقد طالت السهرة ،
حتى زقا الأذان الثانى من صياح الديوك * .

مكدف : وهل استيقظ الأمير ؟

(يدخل مكبث)

(١) بطة الترزى هى المكواة التى يستخدمها لكى الملابس .

* تلى هذا محادثة بين مكدف والبواب فيها عبارات فاحشة وقد حذفت من النسخ المنقحة فى الأصل الإنجليزى فحذفناها.

أراه هب من طرقنا . وها هو آت .

لنوكس : أيها السيد النبيل صباح الخير .

مكبث : أسعدتما صباحاً .

مكدف : ألمَّـــا

ينهض الملك يا أميرى الكريم ؟

مكبث : لم يزل نائماً .

مكدف : لقد كان أوصانى

بأن أغتدى بوقت البكور ،

وأرى الوقت كاد يفلت منى .

مكبث : فهيا أصطحبك نحو مكانه .

مكدف : إن هذا العناء ، إن كان لا شك لذيذاً لديك ،

فهو عناء .

مكبث : إن هذا العناء يبعث فينا

متعة من تألم الإحساس .

ها هو الباب .

مكدف : سوف أجرؤ أن أدخل

من أجل واجبى المرسوم (يخرج)

لنوكس : أترى يذهب المليك من اليوم ؟

مكبث : سيمضى . فهكذا كان أمره .

لنوكس : هذه ليلة مضت فى اضطراب ،
حيث نمنا تهدم المدخان .
وكما قيل كان يسمع ترديد نواح
يشق جوف الفضاء .
صرخات غريبة ، من صراخ الموت ،
فى جرسها الفظيع نذير
باضطراب مروع واضطرام ،
وخطوب يُفرخن بعد قليل ،
من بلايا زماننا المنكود .
كان طير الظلام ينعب طول الليل ،
والأرض مثلما قيل مادت ،
واعترتها انتفاضة المحموم .

مكبث : شد ما كان أمر تلك الليلة .

لنوكس : ما يذكرى عمرى القصير مثيل يحتذيها ،

(يدخل مكدف)

مكدف : أى هول ! أى هول ! أى هول !
ما لسان أو جنان يستطيع النطق باسمك ،
أو يؤدى وصف خطبك !

مكبث ولنوكس : ما دهاك ؟

مكدف : الردى أبدع فى آيته .
أدنس الأدناس فى فتكته !
عابثاً فى معبد الله الطهور ،
نازعاً من جوفه روح البناء !

مكبث : أى قول ما تقول ؟ أى روح ؟

لنوكس : هل عنيت الملك ؟

مكدف : أقصدا مخدعه كى تُعشيا
بصر العين بجرجون[1] الجديدة .
لا تقولا لى تكلم ، واذهبا ،
فانظرا ثم انطقا ما شئتما .

(يخرج لنوكس ومكبث)

أيها النوام هبوا ، واقرعوا
جرس الإنذار . القتل ! الخيانة !
بنكو ، دونالبين ، ملكولم أفيقوا !
إنزعوا هذا الكرى الناعم عنكم ،
إنما ذلك تقليد الردى ،
وتعالوا تنظروا الموت الصريح .

---

(١) جرجون كائن خرافى فى الشاطئ الأقصى من الأرض يزعم أن من رأى وجهه انقلب حجراً .

ويحكم هبوا سراعاً ، وانظروا
صورة من موقف الحشر العظيم !
أنت يا ملكولم ، يا بنكو انهضا ،
مثلما يبعث أصحاب القبور .
وامشيا مشية أرواح النشور
كى تكونا شبه هذا الهول هولا .
إقرعوا الناقوس !

(تدخل زوجة مكبث)

زوجة مكبث : ماذا خطبكم ؟
فتدوى صيحة منكرة
مثل هاتيك ، كإنذار الخطر .
تفزع النوام فى البيت ،
كما يحشد القوم إذا الجو اعتكر
خبرونى . خبرونى !

مكدف : ربة الرقة ، حاشا لك أن تسمعى ،
إن كنت أمضى فى حديثى
إنه لو قيل فى مسمع ذات الخدر
لانقض عليها قائلا .

(يدخل بنكو)

يا لبنكو ! يا لبنكو !
سفكوا دم مولانا المليك .

زوجة مكبث : أسفاً !
أى خطب ! وبظل بيتنا ؟

بنكو : بل أجل الخطب فى أى مكان .
يارعاك الله مكدوف أخى ،
قل سوى ما قلت . ناقض فيه نفسك .

(يدخل مكبث ولنوكس)

مكبث : ليتنى مت ساعة قبل هذا الخطب ،
حتى أتم عيشى سعيداً .
لا أرى فى الحياة من هذه اللحظة
شيئاً نأسى عليه فقيداً .
ليس فيها سوى ألاعيب لهو ،
منذ أودى من كان سمحاً مجيداً .
نفدت خمرة الحياة ،
ولم تبق لهذا الوجود إلا ثمالا .
فضله تزدهى بها هذه القبة تيهاً ،
وتدعيها اختيالا . (يدخل دنالبين وملكولم)

دنالبين : أى شىء دها ؟

مكبث : دهاك ولا تعلم .
جف المعين والينبوع ،
نضب المورد الذى نبعت منه
دماء الحياة فى أعراقك .
طمر النبع ، جف رأس الوادى .
مكدف : قتلوا السيد المليك .
ملكولم : ومن ذا ؟
لنوكس : هؤلاء الذين كانوا على المخدع
هم قاتلوه فيما يلوح ،
منذ كانت وجوههم وأياديهم جميعاً
موسومة بالدماء .
ووجدنا خناجر القوم لما تمح عنها الدماء
فوق الوساد .
ثم راحوا يحملقون ذهولا .
لم يكن هؤلاء أهلا لأن تودع
فى عهدهم حياة الرجال .
مكبث : ويحهم ! غير أننى قد تندمت
على ثورتى ، لشدة غيظى ،
ذاك أنى قتلتهم .

مكدف : لم هذا ؟

مكبث : أين من يملك التعقل فى الدهشة ،
أو الاعتدال عند الهياج ،
أو يراعى الحياد فى إخلاصه ؟
ليس هذا فى طاقة الإنسان .
إن حبي الشديد أسرع فى العدْو ،
ففات العقل الذى قد يعوقه . .
ذاك دنكان هامدا ، ولجين الجلد
وشاه عسجدى الدماء .
والطعان الجوفاء كالثغر فى الجسم ،
ليسرى منها الردى للحياة ،
وأولاء الفتاك قد ضرّجتهم
شارة من علائم الفتاك ،
ورأيت النصال تلبس ثوباً دمويًّا
تمجه الأذواق .
أين من يستطيع أن يملك النفس ،
إذا كان ذا فؤاد محب ،
وله نخوة لإظهار حبه ؟

زوجة مكبث : ساعدونى على الخروج . هلموا !

مكدف : أسعفوا السيدة .

ملكولم : (لدنالبين) فيم إمساكنا اللسان ؟
وما أولاه أن يدعى لنا بالحقوق .

دنالبين : (لملكولم) أى قول يرجى له أن يقال ؟
إننا هاهنا ، ومن حولنا يرصد صرف القضاء
طى الخفاء ،
مشرئبًّا إلى الوثوب ، لينقض علينا .
هلم نبغى النجاء !
دمعنا لم يحن أوان اختماره .

ملكولم : لا ولا وجدنا المبرح عرّى
قدم السير بعد للترحال .

بنكو : وجهوا بالكم إلى السيدة .

(تحمل زوج مكبث إلى الخارج)

وإذا نحن قد سترنا عوارى جسمنا
لا يضرها التعريض ،
فلنعد للقاء نبحث فى هذا الصنيع الفظيع
نسبر غوره ،
قد دهتنا الشكوك والأوهام .
إننى الآن واقف فوق كف الله

سبحانه وجل جلاله .
وسأمضى منها إلى حرب من يسعى
لتحقيق قصده فى الخفاء ،
من ذوى الغدر والدهاء

مكدف : وعهدى مثل هذا .

الجميع : والعهد منا جميعاً !

مكبث : فهيا مسرعين نتخذ العدة
للحرب من لباس الرجال ،
ثم نأتى للبهو كى نتلاقى .

الجميع : قد رضينا . (يخرجون جميعاً ما عدا ملكولم ودنالبين)

ملكولم : أى شىء نويت ؟
هلا امتنعنا عن موافاتهم لهذا اللقاء !
فادعاء الأسى لمن كان خلواً منه
فن سهم لأهل الرياء .
وسأمضى لإنجلند .

دنالبين : وأما أنا فلأتجه إلى إرلنده .
إن خيراً لنا وأوفر أمناً لكلينا
تفريقنا فى المصير ،
سوف نلقى أنى نكون نصالا ،

كامنات تحت ابتسام الثغور .
والنسيب القريب فى الدم أخشى الناس طرّا
على دماء القريب .

ملكولم : إن هذا السهم المميت الذى أرسل
لما يصل لقلب الرميّة .
وسبيل النجاة أسلم عقبى
بتحاشى مرمى السهام الآتيَّة .
فلنباد، إذن إلى صهوة الخيل ،
ولا نحتفل بإذن الوداع .
وتسلل بنا نُوَلِّ فراراً ،
لا أرى فى اختلاس نفسك عاراً ،
إن يكن ذاك خشية من ضياع
منذ لم تبق رحمة فى الطباع .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الرابع *

خارج قصر مكبث . يدخل روس وشيخ كبير

الشيخ : عشت دهرى سبعين حولا ،
وما زلت محيطاً بذكريات حياتى .
كم مضى بى فى ذلك الدهر من ساعات هول ،
ومن عجيب عجاب .
ولعمرى لهذه الليلة الليلاء
تزرى بكل خطب مضى بى .

روس : ويكأن السماء يا أبت الطيب ،
ضاقت بقصة الإنسان .
فتراها تبدى لمسرحه الدامى
نذيراً بالسخط والعدوان .
يزعم الوقت أننا فى نهار ،
والدجى يخنق السراج السارى .
أهو الليل قد محا آية النور ،
أم الخزى لف وجه النهار ؟

* هذا المنظر من أضعف مناظر الرواية ويعده بعض النقاد من تأليف غير شكسبير .

إذ توارى دُجُنَّة الليل وجه الأرض ،
طى الرموس للأموات .
حين كان الأولى بها لو يُحَيِّيها
ضياء الحياة بالقبلات .

الشيخ : إن هذا مخالف للطبيعة !
هو صنو للفعلة المعهودة .
قد رأينا يوم الثلاثاء صقراً ،
شاهقاً فى ذرى السماء اختيالاً ،
فإذا البومة التى صيدها الجرذان
تنقض عنوة واغتيالاً
كانقضاض البازى فتقضى عليه .

روس : ورأينا أفراس دنكان —
والأمر أكيد مهما نجده عجيباً .
منظر رائق وعدو سريع ،
ومثار الإعجاب بين الخيول .
غيرت طبعها وحطمت المزود ،
واستوحشت وهامت فراراً ،
وتأبت على الخضوع ،
كما لو أعلنت حربها على الإنسان .

الشيخ : ولقد قيل بعضها يأكل البعض .

روس : لعمرى فعلن ذلك حقاً .

ولقد كان منظراً يدهش العينين ،

لما رأيته تحت عينى .

ذاك مكدوف صاحب الفضل آت .

(يدخل مكدف)

كيف حال الزمان يا سيدى الآن ؟

مكدف : أما تبصر الزمان بعينك ؟

روس : هل عرفتم من الأثيم ،

الذى جاء بأنكى من كل سفك دماء ؟

مكدف : هؤلاء الذين ذبَّحهم مكبث .

روس : واحسرتا لهذا المصاب !

أى خير يرجون من مثل هذا ؟

مكدف : إنهم حُرضوا عليها ،

ويلقى الشك فوق ابنى المليك القتيل .

منذ ولى ملكولم ثم دنالبين

فراراً عن البلاد انسلالا .

روس : إن هذا ضد الطبيعة أيضاً .

أيها المسرف الطموح رويداً !

أنت تفنى بذاك نبع حياتك .
وبهذا يكون أكبر ظنى ،
إن ملك البلاد آل لمكبث .

مكدف : إنه اختير منذ حين ،
وقد سار لإسكون كى يقلد ملكه .

روس : وإلى أين صار جثمان دنكان ؟

مكدف : حملوه لكولم كيل ، بمستودع آبائه
الطهور المقام .
وبمثوى عظامهم .

روس : أترى أنت سائر نحو إسكون ؟

مكدف : إلى فيف سائر يابن عمى .

روس : أنا ماض إلى هناك .

مكدف : فأرجو
أن ترى ثـَمَّ كل فعل سديد .
رب ثوب ننضوه عنا قديماً ،
كان خيراً لقدنا من جديد .

روس : ووداعاً أبى .

الشيخ : صاحبتكم رعاية الله فى السير ،
وكانت مع الميامين طرًّا ،
كل من يجعل العدو صديقاً ،
ويحيل الشرور خيراً وبرًّا .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الأول

فورز . القصر . يدخل بنكو .

بنكو : حزتها الآن ، من مليك ، وقودور
وجلاميس ، كلهن جميعاً ؛
صدق الساحرات ما أنبأنك .
غير أني أراك خضت إلى الملك
أشد الأدناس والأرجاس .
حين قد قيل إنه لم يُقَدَّر
أن يكون الملوك من أبنائك .
سوف أغدو أنا ، ولا بد ، أصلا
وأباً للكثير بين الملوك .
ولئن كانت النبوءات يا مكبيث ،
تأتي من السواحر صدقاً ،
مثلما أشرقت عليك النبوءة ،
فلماذا لا يستطعن كما أخبرنك الصدق ،

ثم حققن وعدك ،
أن ينبئن لى كذلك بالصدق ،
ويحللنى محل رجائى ؟
لكن الصمت ! لا مزيد . فحسبي .
(عزف موسيقى ويدخل مكبث فى هيئة الملك . وزوجته
الملكة ولنوكس وروس وأمراء وأميرات وأتباع)

مكبث : ها هنا ضيفنا العظيم !

زوجة مكبث : أما لو كان ينسى لكان مثل فراغ ،
شاغر فى احتفالنا المشهود .
ولكان المكان خلواً من الرونق ،

مكبث : يا سيدى سنحيي احتفالا
حافلا للعشاء هذا المساء ،
وبودى لو تحضرون .

بنكو : إليك الأمر يا صاحب السمو ، فمرنى .
أبد الدهر ، واجباتى وعهدى
لك فى موثق متين الرباط .

مكبث : أترى أنت راكب بعد ظهر اليوم ؟

بنكو : أى سيدى الكريم ،

مكبث : وددنا

لو تمكنت أن تشير علينا .
قد عهدنا فى رأيك الحزم واليمن ،
كما كان فى اجتماع الصباح .
غير أنا نؤجل الآن هذا الأمر
حتى غد . أتمضى بعيداً ؟

بنكو : إن سيرى يا سيدى سوف يمتد
من الآن لاحتفال العشاء ،
وإذا لم يسعف جوادى ،
فإنى مستعير فى رحلتى من مسائى ،
ساعة فى الظلام أو ساعتين .

مكبث : لا تغيبوا عن حفلنا .

بنكو : يا مليكى ، إننى لن أغيب عنه .

مكبث : سمعنا
إن سفاكَى الدماء ابنى العم
أقاما فى إنجلند وارلند .
لا يقران بارتكاب شنيع الذنب ،
فى جرم مقتل الآباء .
بل يذيعان فى المسامع قولا ،
من عجيب التلفيق والتزييف .

غير أنا نؤجل القول فى ذلك
حتّى غد ، إذا ما اجتمعنا ،
لنرى الرأى فى مسائل شتّى ،
من شئون فيها صلاح البلاد ،
وعلينا تبادل الرأى فيها .
فإلى الخيل مسرعاً ، وبحفظ الله ،
حتّى تأتى إلينا مساء .
أيسير ابنكم فلنس كذلك ؟

بنكو : أى نعم سيدى الكريم ،
وهذا وقتنا مؤذن لنا بالمسير .

مكبث : أسأل الله أن يحث على السير جواديكما
بخطو ثبيت ،
وبظهريهما يحفكما الأمن ،
فسيرا باليمن . (يخرج بنكو)
(لمن حوله) دونكم وقتكم ، فكل وما شاء ،
إلى حين ساعة السبع ليلاً .
وسأبقى حتّى العشاء وحيداً ،
كى تكون الأسمار فى الحفل أحلى .
وإلى أن نعود ، كونوا بحفظ الله .

(يخرجون جميعاً ويبقى مكبث مع أحد الأتباع)

يا ذاك . لى إليك حديث .

هل أتى القوم فى انتظار رضانا ؟

التابع : إنهم سيدى على مدخل القصر .

مكبث : فأقبل بهم إلينا سريعاً (يخرج التابع)

(وحده) ليس شيئاً أنى بلغت مكانى ،

بل بقائى بمأمن فى مكانى .

إن ما يبعث المخاوف عندى ،

خطر يستقر فى غور بنكو .

طبعه مثل دولة يتولى مُلكها

من يُخاف من سلطانه .

يستطيع الحلى وفى طبع عقله الجبار .

حزم يقود همَّة نفسه .

فإذا همَّ رافقته السلامة .

ليس إلاه من أخاف له ذاتاً ،

ويَخْزى أمامه شيطانى ،

مثلما قيل كان شيطان أنطون ،

إذا ما بدا بحضرة قيصر .

إنه عنف السواحر ، إذ جنْ

ينبِّئنى نبوءة حظى ،
هاتفات إلىّ باسم المليك .
فدعاهن للتوجه بالقول إليه ،
حتى خضعن امتثالا ،
هاتفات كأنهن النبيئات ،
وحيينه أباً للملوك ،
ثم ألقين فوق رأسىَ إكليلا عقيما ،
وفى يدى صوبجاناً ،
مجدباً لا يليه من بعدىَ نسلى .
بل سيُستل بعد ذلك غصباً ،
بيد ما لها عروق قديمة ،
فإذا كان ذاك حقًّا ،
فقد دنست عقلى إذن لأبناء بنكو .
ثم من أجلهم قضيت على دنكان سمحاً ،
وشبت حوض سلامى ،
حين ألقيت فيه بالأحقاد .
ووهبت الشيطان جوهرة الخلد ،
ليغدو أبناء بنكو ملوكاً .
من ذرارى بنكو يكون الملوك !

لا فأولى من ذاك ، أيتها الأقدار
هبى إلى مجال النزال .
وأثيرى حفيظتى فى صراع مستميت .
من ذا هنالك ؟

(يدخل تابع ومعه اثنان من الفتاكين)

(للخادم) اسمع !
كن على بابنا إلى أن ننادى . (يخرج التابع)
(للفتاكين) أوما كان أمس حين التقينا ،
وجرى بيننا الحديث ؟

القاتل الأول : تفضل
صاحب المجد ، كان ذلك حقاً ،

مكبث : هل تأملتما معاً فى حديثى ؟
إعلما أنه الذى كان يزوى
عنكما الحظ هكذا ، منذ حين .
ولقد كنتما تظنان فينا السوء ،
نحن الذين كنا براء .
ذاك ما قلته ، وكان جلياً لكما
عند ما اجتمعنا أخيراً .
وتبينتما معى كل ما يثبت

كيف انخدعتما بخداعه —
كيف حوربتما ، وأى سلاح ،
ومن استخدموه فى إيقاعه —
وأمور أخرى تنادى جميعها
كل من كان روحه نصف حى
والذى عقله عليل سقيم
قائلات : « هذى أفاعيل بنكو » .

القاتل الأول : قد أبنتم هذا وأصبح مفهوماً لدينا

مكبث : فعلت ذلك حقًّا .
ثم أعقبت بعد ذلك قولا ،
هو قصدى فى الاجتماع الثانى .
أوجدتم من صبركم سلطاناً
مستبدًّا بطبعكم طغياناً ،
فضربتم عن هذه الحال صفحاً ؟
أم بلغتم من التمسك بالإنجيل
قدر الزهاد والأحبار ؟
فتصلوا لذلك الرجل السمح
وتدعوا لنسله الأبرار ،
بعد إحنائكم بخبط ثقيل

من يديه إلى رغام القيود ،
تاركاً أهلكم إلى أبد الدهر
يُعانون شدة الإعسار ؟

القاتل الأول : نحن يا سيدى رجال .

مكبث : إذا شئت سجل الأسماء أنتم رجال .
فكما أن فى الكلاب السلاقى ،
وفيها العدّاء والملاّق ،
وهجين التوليد ، والجعد ذو القُصَّة ،
ثم الأنيق وابن الذئاب ،
وكلاب الطريق ، كل يسمى
فى سجل الأسماء باسم الكلاب .
غير أن الثبت المقوّم للسعر
يـَمِيز السريع والمتباطى ،
والضعيف النحيل من حارس البيت ،
وكلب الصياد ، كل بسعر ،
حسبما فيه من مواهب ،
أضفتْها عليه الطبيعة الفياضة .
وبهذا يمتاز كل بوصف ،
فى سجل الأسماء والكل كلب .

وعلى ذلك القياس الرجال .
فإذا كنتما تحلان فى غير مكان الأرذال
بين الرجال ،
أخبرانى كى أودع السر فى صدريكما
عن قضاء تلك المهمة .
فإذا قمتما بها زال خصم لكما ،
ثم فزتما بودادى ،
وتقربتما بهذا لقلبى .
إننى فى حياته أرتدى ثوب سقام
يزرى بصحة جسمى ،
فإذا مات عاد جسمى سليماً .

القاتل الأول : أنا هذا مولاى أحنقنى الدهر ،
بأقسى النكال صفعاً وضرباً ،
لا أبالى إذا اجترمت من الآثام
ما يملأ البرية حقداً .

القاتل الثانى : وأنا مثله تعبت من البلوى ،
وقاسيت من نوائب دهرى ،
لا أبالى بأن أخاطر بالنفس ،
فإما لخيرها أو لقبرى .

مكبث : أنتما تعرفان من كان بنكو منكما ،
إنه العدو المبين .

الفاتكان : قد صدقتم مولاى ،

مكبث : وهو عدوى ،
والمدى بيننا غزير الدماء .
فإذا مدت الحياة له لحظة عيش ،
كانت كطعنة فى صميمى .
ولعمرى إنى قوى على البطش جهاراً ،
أمحوه من رأى عينى .
ثم حسبى مسوغاً ، أن هذا البطش
أمر قضاه رأيى وحكمى .
غير أنى لا ينبغى لى ،
ففيما بيننا بعض أصدقاء أحبة .
وعزيز على طرح المودة .
فلعلى إذا سطوت تأسفت ،
على من أرديته بيمينى .
ولهذا خطبت ودكما سراً ،
وأخفيت أمر تلك المهمة ،
لا تراها عين من الناس ،

قصداً لدواع كثيرة ذات بال .

القاتل الأول : سوف نقضى ما شئت مولاى منا .

القاتل الثانى : لو أردت الحياة . . .

مكبث : هذا شعاع من ثنايا كما يلوح مضيئاً .

في مدى لا يطول عن هذه الساعة ،

آتيكما مشيراً برأيي ،

قائلاً أين تكمنان انتظاراً .

ثم آتيكما بأبرع أهل الوقت

فى الكشف عن خفايا الأمور ،

معلناً خطة الهجوم ،

فلا بد لها أن تكون هذا المساء .

ثم أن تبعدا عن القصر شيئاً ،

واذكرا دائماً مرادى وقصدى ،

إننى أبتغى تحاشى الظنون .

ولكيلا تخلفا ثغرات

أو خدوشاً وراء تلك المهمة ،

فخذا نجله فلنس ، إذا جاء رفيقاً له ،

ليلقى مصيره .

ما اختفاء الفتى بأهون شأناً

في اعتبارى من اختفاء أبيه ،
فاجعلاه لا بد يستقبل النحس
بتلك السويعة السوداء .
فليفكر كل وحيداً ، ليمضى عزمه
حسبما يشاء لنفسه ،

القاتل الأول : قد عزمنا مولاى .

مكبث : إن كان هذا ، فأقيما فى داخل الدار حيناً ،
وسآتى إليكما فى هنيهة . (يخرجان)
قضى الأمر ، إن روحك يا بنكو
إذا شاء للسماء وصولا ،
فالذى ينبغى له هذه الليلة
أن يهتدى إليها سبيلا . (يخرج)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

المنظر نفسه . غرفة أخرى . تدخل زوجة مكبث وخادم .

زوجة مكبث : هل مضى يا ترى من القصر بنكو ؟

الخادم : أى نعم سار ،
ثم يزمع أن يرجع هذا المساء يا مولاتى .

زوجة مكبث : أخبر الملك ، أننى عند ما يفرغ ،
أرجوه فى حديث قصير

الخادم : سأؤدى ما شئت يا مولاتى .

زوجة مكبث : ما بلغنا شيئاً ، وضيع منا كل شىء ،
تحقيقنا لمنانا ،
إذ فقدنا بذاك روح رضانا .
ولأدعى إلى السلامة ، لو أنا حفظنا ،
ولم نهدّم كياناً ،
سوف نبقى بهدمه فى حياة .
لا نرى فى سرورها اطمئناناً ،

(يدخل مكبث)

ليت شعرى ما بال مولاى يبقى

وحده ، والرؤى الحزينة صحبه ؟
فتناجى تلك الخواطر ،
والأولى بها الموت بعد من هى ذكره .
وإذا لم يكن لشيء دواء ،
كان أحرى ألا يعالج أمره .
ما مضى فات .

مكبث : إننا قد خدشنا الصِّلَّ ، لكن لم نقتل الصل بعد ،
سوف يلتئم جرحه ،
ثم لا يلبث حتى يعود صلا كعهده .
حين يبقى غليلنا التافه القدر
على خوف نابه المرهوب .
فلتفكك إذن عرى هذه الأرجاء ،
ولتمحق العوالم محقاً ،
قبل أن نأكل الطعام على الخوف ،
ونمسى فى النوم فوق العذاب ،
بين تلك الرؤى الفظيعة ،
نرتجّ بأهوالهن طول الليالى .
أن خيراً لدى لو أننى كنت مقيما
فى عالم الأموات .

هؤلاء الأولى بعثنا بهم حيث
يقيمون فى ظلال سلام ،
وأردنا بذاك نيل السلام .
ذاك خير من ضجعة فى تباريح جوى القلب ،
فى عذاب مقيم .
إن دنكان فى ثراه هنىء النوم
بعد اضطراب حمى الحياة .
بلغ الغدر منتهاه ،
فلا الفولاذ ، لا السم ، لا خيانة أهل
أو عدو يغزوه عبْر الحدود .
ليس شىء من ذاك بعد يمسه .

زوجة مكبث : حسبك الآن سيدى السمح ،
وامسح عن محياك ما به من غضونه ،
ولتكن مشرقاً بشوشاً ، إذا ما جئت
بين الضيوف هذا المساء .

مكبث : سوف أبدو كما تريدين ياحِبّى ،
: ولى مثل هذا الرجاء عندك .
اذكرى ما تُذكّرينى لدى بنكو ،
وأهدى إليه لحظاً ولفظاً

لفتات الإعظام والتّمجيد .
إننا غير آمنين إلى الآن ،
ولا بد أن ننقّى حمانا ،
بسيول من زائف التّمليق .
وعلينا أن نجعل الوجه للقلب قناعاً ،
يخفى حقيقة كنهه .

زوجة مكبث : ينبغى ترك ذلك القول .

مكبث : واها ! ساورتنى عقارب ملء عقلى !
مثلما تعلمين ، يا زوجى المحبوب ،
بنكو وفلنبسه أحياء ،

زوجة مكبث : غير أن الحياة نسخة عقدٍ عندهم ،
ليس شرطها التخليد .

مكبث : ذاك فيه بقية من عزاء ،
فهما عرضة لشن الهجوم .
وإذن فامرحى وطيبى ،
فمن قبل خروج الخفاش فى طيرانه ،
تحت ظل الرواق فى إيوانه ،
قبل أن تصدح الجعارين طوعاً .
لمناداة هيكت السوداء

بجناحين يشبهان حطام الشقف[1]
تـُعْلى طنينها وسنانا ،
عازفات مثل النواقيس فى الليل
عزيفاً مثائباً نعسانا ،
قبل هذا ، يكون قد تم فعل
ذو دوىّ مروّع ،

زوجة مكبث : أى فعل ؟

مكبث : فلتكونى بريئة العلم ،
حتّى تحمدى الفعل يا قطاتى العزيزة .
أيها الليل ، راتق الجفن ، أقبل ،
كى تغمّى عين النهار الرحيم ،
إنها ذات رقة وحنان .
وبكف خفية لك يا ليل ،
عليها غلالة من دماء ،
امح ذاك العقد الخطير ، ومزقه جذاذاً ،
فإنه سر خوفى .
يكثف النور ، والغراب يولّى ،
طائراً نحو غابة الغربان .

---

(١) الشقف قطع الخزف المحطم .

طيبات النهار من كل شيء
أخذت فى الذبول والتهويم .
حين تنساب طغمة الليل سوداء ،
فتسعى إلى افتراس الضحايا ،
أيها الزوجة الحبيب ، أرى منك انزعاجاً
ودهشة من مقالى .
فتعالَى ، وهونى ثورة الروع ،
وسيرى فى صحبتى لا تبالى .
كل ما كان غرسه فى وبيل ،
زاده نضرة مزيد الوبال .

(يخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

أرض شجراء غرب القصر . يدخل ثلاثة فتاك .

الفاتك الأول : لست أدرى بأى أمر أتيت ؟

الفاتك الثالث : أمر مكبث .

الفاتك الثانى : وما لنا أن نسىء الظن فيه .
وقد أتانا بأمر ،
فيه تحديد ما علينا ،
كما كنا أمرنا من قبل بالتفصيل .

الفاتك الأول : فليكن ، واتخذ مكانك فينا ،
إن بالغرب ما تزال بقايا
ومضات من خيط ضوء النهار ،
تستحث المسافر المتوانى فى السرى ،
أن يجد فى التسيار ،
وقريباً يدنو إلينا الذى نرقب .

الفاتك الثالث : صه ! إننى سمعت خيولا .

بنكو (من الداخل) : أشعلوا النور . هيه ! من ذا هناك ؟

الفاتك الثانى : هو هذا إذن ، فقد جاء من قبل

سواه ممن رقبنا حضوره ،
ومضوا للسراى .

الفاتك الأول : إنى أرى الخيل أدارت وجوهها من بعيد .

الفاتك الثالث : نحو ميل . فدأبه مثل هذا ،
هكذا يفعل الرجال جميعاً ،
فيسيرون بعد ذلك من ثَمَّ .
إلى مدخل السراية مشياً .

(يدخل بنكو وفلنس ومعهما مشعل)

بنكو : أشعلوا النور . أشعلوا !

الفاتك الثالث : هو هذا .

الفاتك الأول : الثبات الثبات !

بنكو : فى هذه الليلة لا بد تهطل الأمطار .

الفاتك الأول : فلتدعها تهمى ! (يهجمون على بنكو)

بنكو : هو الغدر ! إهرب ولدى البر !
يا فلنس النجاة !
النجاة النجاة ! علك يوماً تطلب الثأر ،
أيها العبد ويلك !

(يموت بنكو)

الفاتك الأول : أيكم أطفأ المشاعل (ويهرب فلنس)

الفاتك الثانى : هل كان لنا غير ذاك فيها سبيل ؟

الفاتك الثالث : لم يمت غير واحد ، ونجا الابن .

الفاتك الثانى : خسرنا بذاك نصف المهمة ،

وهو خير النصفين ،

الفاتك الأول : لا بأس هيا ، ولنخبر عما فعلنا .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الرابع

بهو فى القصر . وليمة تعد . يدخل مكبث
وزوجته وروس ولنوكس وأمراء وأتباع .

مكبث : قد عرفتم أقداركم ، فاجلسوا وفق مراسيمها ،
وأهلا وسهلا .
وإليكم منى التحية ، أهديها من القلب
أولا وأخيراً .

الأمراء : ولكم يا صاحب الجلالة منا كل شكر .

مكبث : بكم سأخلط نفسى ،
جاعلا رتبتى مضيفاً أدنى .
حين تبقى فى الصدر صاحبة الدار
على عرشها مكان المضيف .
وسنرجو ترحابها فى أوانه .

زوجة مكبث : قل لأصحابنا جميعاً تحاياى ،
وترجم يا سيدى عن فؤادى .
ففؤادى يقول حلُّوا كراماً .

(يظهر القاتل الأول عند الباب)

مكبث : انظرى إنهم يجيبون بالقلب امتناناً ،
فالكفتان سواء .
فليكن ها هنا جلوسى وسيطاً .
ارتعوا فى السرور ، ولنشرب الآن كؤوساً تدور
حول السماط . (يقوم ذاهباً للباب)
للفاتك — إن شيئاً من الدماء بوجهك .

الفاتك : دم بنكو إذن .

مكبث : لخير لدينا
أن نلاقيك خارج الباب
مما لو لقيناه داخلا . هل تردّى ؟

الفاتك : سيدى إن زوره حُزّ . هذا كان صنعى به .

مكبث : فأحسنت صنعاً .
يا عظيم الفتاك . لكن ولا بأس
بمن حز مثله من فلنس .
فإذا كنت قد فعلت فأنت الفذ فيهم ،

الفاتك : مولاى ملك الملوك .
إن إفلنس فاتنا .

مكبث : سوف تأتينى إذن صرعتى
كسابق عهدى ،

ولقد كنت كاملا لولاها .
كنت أبقى كالمرمر الصاب ، والصخر رسوخاً ،
وكنت رحباً عميماً ،
كالهواء المحيط بالأرجاء .
لكن الآن لن أزال حبيساً ،
عانياً رهن معقل مصفوداً ،
قيدتنى مخاوف وشكوك .
أترى قلت إن بنكو تولى ؟

الفاتك : أى نعم سيدى الكريم تولى
فى حفير يقيم فيه أبيدا ،
بجراح عشرين تفهق فى الرأس ،
وأدنى جراحه قتال .

مكبث : لك شكرى على صنيعك
(وحده) هذا هو شيخ الصلال خر صريعاً ،
لكن الدودة استطاعت فراراً ،
وإذا جاء وقتها بعد حين ،
جادها الطبع أن تولد سما .
(للفاتك) — اذهب الآن ريثما نتلاقى فى غد
نستعيد سمع الحديث . (يخرج الفاتك)

زوجة مكبث : سيدى الملك إنكم لا تجودون علينا
بالبشر والترحيب .
إن حفلا لا تؤنس الضيف فيه
لفتة البشر مثل زاد مبيع .
من أراد الغذاء فالبيت أولى ،
وعلى الاحتفال فى خارج البيت
يطيب الطعام فى الأذواق .
فإذا ما تجرد الحفل من ذلك ،
أضحى مجرداً من روائه .

مكبث : إن هذا التذكير عذب لدينا ،
وإذن فليكن لكم جيد الهضم ،
معيناً على اشتهاء الطعام
وهنيئاً لكم وصحة جسم
مع هذين .

لنوكس : هل لكم صاحب الرفعة
أن تجلسوا .
(يدخل شبح بنكو ويجلس فى مكان مكبث)

مكبث : وددنا لو أن الحفل ضم الأشراف طرًّا إلينا ،
ها هنا تحت سقفنا ،
بحضور السمح بنكو بشخصه فى الوليمة ،
ولخير لدى عتبى عليه ،

لغياب عن قسوة وجفاء ،
من رثائى له لو أن مصاباً
حال ما بينه وبين الحضور .

روس : إن هذا الغياب مولاى يلقى عبء لوم
على مواثيق وعده ،
فإذا شئت صاحب المجد ،
أنعمت علينا بالصحبة الملكية .

مكبث : غير أنى أرى المقاعد ملأى ،

روس : ها هنا سيدى مكان مخلّى .

مكبث : أين ؟

لنوكس : هذا يا سيدى الطيب المقعد ؛
لكن ماذا يثير سموك ؟

مكبث : خبرونى من ذا أتى الفعل منكم ؟

الأمراء : أى فعل يا سيدى السمح ؟

مكبث (ناظراً إلى الشبح) : لا تجرؤ أن تدعى بأنى فعلته .
لا تهزّن لى غدائرك اللاتى تخضبن
باحمرار الدماء .

روس : أيها السادة انهضوا ،
صاحب المجد به بعض وعكة فى مزاجه .

زوجة مكبث : اجلسوا أيها الصحاب الكرام .
سيدى يعتريه هذا كثيراً ،
ولقد كان هكذا من شبابه .
فرجائى أن تستقروا جلوساً ،
إنها نوبة قصير مداها .
فى مدى لمحة من الفكر يرتد كما كان ،
مطمئناً معافى .
وإذا ما تابعتموه التفاتاً ،
ضاق ذرعاً بكم وزاد هياجاً .
(لمكبث) رجل أنت ؟
مكبث : أى نعم وجرىء ،
إذ تجاسرت أن أشاهد شيئاً
يفزع الجن
زوجة مكبث : أى لغو عظيم !
إن هذا تصوير رعبك ،
كالخنجر إذ كان صورة من هواء ،
فإذا أنت تدعى أنه جاء
ليهديك نحو مخدع دنكان .
أى شىء تلك النوافض والهبات ،

تلك المخاوف الكذابة !
هى مما يليق حقًّا بأن يحكى
أقاصيص حول نار الشتاء ،
من نساء يروينها عن عجوز .
إنه العار نفسه ،
ولماذا تعترى هذه الخوالج وجهك ؟
فتأمل ، وقد مضى كل شىء
كنه هذا الذى تراه أمامك ،
لا تجد غير مقعد للجلوس .

مكبث : انظرى ما هناك ، أرجوك . راعى .
أبصريه ، وشاهدى ثم قولى .
لا ، ولكن ماذا أبالى ؟
فإما اسطعت أن تنحنى برأسك فانطلق .
ولئن كانت المقابر والأجداث
قد تلفظ الذين دفنّا ،
فليكن قبرنا بطون الحداء . (يختفى الشبح)

زوجة مكبث : عجباً منك ، هل تجردت من كل صفات الإنسان
فى هذيانك ؟

مكبث : أنا أبصرته ولا شك عندى ،

كوثوقى بوقفتى فى مكانى .

زوجة مكبث : أى نقص ! وأى عار عليك !

مكبث : طالما أهرقت دماء قديماً قبل هذا
فى غابر الأزمان ،
قبل أن تظهر الشرائع فى الأرض ،
تزكى علائق الإنسان .
بل توالى من ذلك العهد قتل ،
مفزع لا تطيقه الأسماع .
كان إما أطاحت الضربة المخ ،
يموت الإنسان منها ويفنى .
فإذا هم فى عصرنا قد يصابون
بعشرين قتلة قتالة ،
فى صياصى رؤوسهم ، فيهبون قياماً ،
ويرجعون إلينا ،
ليحلوا محلنا فى الكراسى .
إن هذا أشد من كل فتك قد عرفنا
غرابة وشذوذاً .

زوجة مكبث : صحبك الأكرمون يا سيدى الماجد
فى وحشة إلى إيناسك .

مكبث : يا أجل الأصحاب لا تعجبوا منى ،
فإنى يصيبنى النسيان .
إن بى عارضاً غريباً ،
ولكن لا يباليه كل من عرفونى ؛
فهيا واهنأوا على صحة الجسم ؛
وأهدى مع التحية حُبى .
أنا هذا جلست . هات لى الخمر .
وملئ لملئها يا ساقى .
هذه نخبكم جميعاً .
على غبطة كل الجلوس حول الخوان .
وعلى نخب من تخلف عنا .
نخب بنكو صديقنا المحبوب .
ليته كان ها هنا .
فإليكم ، وإنى من له ظمئت اشتياقاً .
كل حب لكل فرد .

الأمراء : إليكم واجبات الولاء والإخلاص .

(يعود الشبح)

مكبث : ويلك ابعد ! تنح عن بصرى ؛
واجعل أديم التراب يخفيك عنى ،

لك عظم وليس فيه نخاع ،
ودماء قد أثلجتها البرودة .
تيك عيناك لست تبصر شيئاً بهما ،
عندما تبرّق أعشى .

زوجة مكبث : يا كرام الأشراف لا تحسبوا ذلك
شيئاً سوى الشكاة القديمة .
ليس إلا تلك الشكاة . وإن أفسد
إمتاعنا بوقت الصفاء .

مكبث : كل شيء يقوى على فعله الإنسان
فى جرأة على إتيانه .
فتقدم إلى فى شكل دب الروس وعرا ،
أو صورة الخرتيت .
فى غطاء من الدروع المتينة .
أو كنمر (الهرقان)[1] ، أو أى شكل غير هذا ،
تجد عروقى صلاباً .
أبداً لن تصيب فيها اضطراباً .
أو فعد للحياة إن شئت ؛
واخرج لنزالى بالسيف فى الصحراء ،

(١) الهرقان ولاية فى بلاد الفرس القديمة .

فإذا كنت عند ذلك أرتجّ ،
فقل إننى فتاة صغيرة .
فانأ عنى يا أيها الشبح المفزع .
يا أيها الخيال المسيخ ،
انأ عنى ! (يختفى الشبح)
ماذا ؟أرانى إذا ما حل عنى وجدتنى إنساناً .
فرجائى أن تجلسوا حيث أنتم .

زوجة مكبث : أنت أفسدت متعة الأنس فينا ،
ثم حطمت شمل حفل بهيج ،
باضطراب ما كان أعجب أمره .

مكبث : عجباً من عوارض مثل هذى
تعترينا مثل السحابة صيفاً .
دون وعى منا ولا حسبان .
إنكم تجعلوننى عند نفسى ،
أجنبياً حتى لأنكر نفسى
إذ تبينت كيف واتاكم الصبر ،
وأنتم ترون تلك المرائى ،
فحفظتم لون اليواقيت فى الخدين غضًا ،
وابيض وجهى خوفاً .

روس : أى شىء تكون تلك المرائى ؟

زوجة مكبث : دعه أرجوك لا تخاطبه ،
إن الحال تزداد فيه سوءاً فسوءاً ،
وإذا ما سألته ثار غيظه .
فهلموا توًّا ، سعدتم مساء .
لا تبالوا فى سيركم أن تكونوا
بالنظام المرسوم ، وامضوا سراعاً .

لنوكس : فلتصاحب جلالة الملك الصحة موفورة .
سعدتم مساء ،

زوجة مكبث : ولكم كلكم مساء سعيد . مع شكرى .
(يخرجون جميعاً ما عدا مكبث وزوجه)

مكبث : سوف تدمى رفاته ،
فلقد قيل بأن الدماء تؤتى دماء .
ولقد طالما تحركت الأحجار منها ،
وصاحت الأشجار .
كم أزاح العراف عمن تخفى
من رجال الدماء ستر الخفاء .
وأذاعت أسرارهم بعض شارات
وبعض العلائق المفهومة ،

في حشا الرخ والغراب أو العقعق .
ما الليل ؟

زوجة مكبث : كاد تنشب حرب
بينه والصباح أيٌّ يسود .

مكبث : ما تقولين في تمنع مكدوف
على حفلنا العظيم بشخصه ؟

زوجة مكبث : هل بعثتم إليه يا مولاى ؟

مكبث : قد سمعت الأخبار عنه على أية حال .
ولأبعثنّ إليه .
ليس في هؤلاء من لم أوظف من رجالى
عيناً يقيم ببيته .
وسأمضى غداً وفى بكرة الصبح
إلى الساحرات أسألهنّه .
وعليهن أن يقلن مزيداً .
فأنا الآن راغب فى تخطى كل شر ،
للكشف عن كل شر .
ومتى شئت خير نفسى ،
فلن يثبت عذر يحول من دون خيرى .
قد ترديت فى الدماء وأبعدت ،

فإن لم أوال فيها مسيرى ،
كان فى عودتى عناء عبورى .
فى حنايا رأسى أمور خواف .
وبودى لو أنفذتها يمينى .
وعلىّ الإسراع فيها بفعلى ؛
قبل إدراك كنهها عن يقين .

زوجة مكبث : أنت فى حاجة إلى النوم .
فالنوم شفاء الأوصاب للأجسام .

مكبث : فهلمى إذن ننم .
إن ضعفى واضطرابى العجيب من صنع خوفى ؛
هو خوف الغرير لم يتعود بعد
خوض الصعاب والأخطار .
إننا ما نزال بعد صغاراً .

(يخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الخامس

سهل أجرد . تدخل ثلاث ساحرات يقابلن هيكات[١] .

الساحرة الأولى : هيكات — ألا ويحك ما بالك ؟ ما عندك ؟
فالغيظ على وجهك .

هيكات : هل مثلك يلحانى فى علة أشجانى ؟ أنت المعروفة
بالخفة فى الجان . أولست على حق فى ثورة أحزانى ؟
إذ كيف تجرأتم ولمكبث قدمتم ، خدمات وصلات ،
بشئون الأموات ، وألغاز الشيطان ؟
مع أنى سيدة تعاويذ السحر ، وأساسٌ فى كل
تدابير الشر ،
لم أُدع إلى أن أحتل مكانى ، أو أكشف عن روعة
فن الكهان . بل ما هو أدهى وأمر من الأمر ، أن
تبذل خدمتنا من أجل فتى غر ، مشتهر بالحقد
ومعروف بالشر .
هو من طينة آدم ، مفتون بهواه ، يطلب ما يرغب

---

(١) إلهة السحر والشر .

لا يسعى لسواه من أفسد فليصلح أو ساءت عقباه .

فانصرفوا فى التو إلى حفرة عقران ، فى البكرة ألقاكم

فى دار الأحزان . وسيأتى صاحبكم يستوحى الحدثان .

فأعدوا عدتكم من قدر ووعاء ، وحجاب وسوى ذلك

من كل الأشياء .

وسأذهب فى الجو ، به أقضى ليلى ، فى طرف مشئوم

فياض بالويل .

لأرى قبل الظهر مهمًّا من شغلى .

فهناك على قرن فى القمر السارى ، تسبح فى الجو

إلى غير قرار ،

نقطة عقّار فى شكل بخار .

أمنعها أن تسقط للأرض ، وأقنصها ، وبفنى وعلومى

فى السحر أقطّرها .

وأثير الأرواح ، بتعزيمى أحضرها .

وبشدة قوتها فى طرق الإغواء ، تستدرج مكبيث

إلى فتن عمياء ، فيهين الأقدار ، ويحتقر الأخطار .

ويمد الآمال إلى الاستهتار .

لا يخشى من خوف ، أو يرهب من عار .

والأمن إلى الدهر كما عرف الثقلان ، أعدى الأعداء

لجنس الإنسان .

(موسيقى من الداخل ونشيد) :

« هيا هلمى – هيا هلمى – هيكات هيّا »

هيكات : صه ! إنى أحسب هذا صوتاً يدعونى .

وأرى عفريتى الأصغر من دونى .

يجلس فوق سحاب . محفوف بضباب .

منتظراً لحضورى . (يخرج)

الساحرة الأولى : وهلموا فلنسرع ! سنعود هنا حالا .

(يخرجن)

الفصل الثالث

المنظر السادس

فورز . القصر . يدخل لنوكس وأمير آخر .

لنوكس : منذ حين بدأت بعض أحاديث
وقد صادفت هوى فى فؤادك ،
ومن السهل أن يفسر هذا القول
ما بعده قياساً عليه .
قد رأينا الوديع دنكان ؛
ومكبيث رؤوف به . فإذا هو ميْت .
ثم بنكو وهو المجرَّب فى الإقدام ؛
يمشى فى الليل بعد الظلام ،
وإذا شئت فلتقل إن إفلنس قد اغتاله
وولّى فراراً .
وعلى الناس منع سير الظلام .
أين فى الناس من يقصر
عن إدراك تلك الأكذوبة الشنعاء ؟

أيقولون إن ملكولم
أو إن دنالبين قاتل لأبيه
ذلك الوالد الكريم السجايا ؟
أى زعم مستنكر ملعون !
وتأمل ما كان من حزن مكبث !
أفما هب قاصداً للأثيمين سريعاً
فى غضبة مبرورة ،
حين كانا فى ربقة الخمر والنوم
فأهوى عليهما تمزيقاً ؟
أفما كان ذاك فعلا بديعاً ؟
بل أما كان فوق هذا حكيماً ؟
فلقد كان كل قلب ذكى
فيه نبض الحياة يغضب غيظاً ،
لو تأتّى له سماع الغلامين
إذا أنكرا ارتكاب الجريمة .
ولهذا أراه قد أحكم التدبير ،
فى كل ما أتى من أموره .
ويقيناً لو أنه ملك الحكم
على ابنى دنكان — لا شاء ربى —

لأصابا ما ينبغى لمن اغتال أباه ،
ومثل هذا فلنس .
لكن الصمت لى أحب ،
فمكدوف كما قيل صار مقصى مهيناً
أجل أقواله العراض ،
ومن أجل تخليه عن عشاء الطاغى .
أعلمتم يا سيدى أين يأوى ؟

الأمير : ابن دنكان — عندما غصب الظالم ميراثه الذى
يستحقه ،
حل فى القصر الإنجليزى ضيفاً ،
عند إدورد *أقدس الأتقياء* .
فتلقاه بالتجمل ،
لم يجعل عداء الأقدار ينقص قدره ،
وإلى ثَمَّ سار مكدف ، يرجو العون
من ذلك المليك الطهور ،
طالباً أن يثير نخوة نرثمبرلندا
وفارس الحرب سيورد ،
فعسانا بنصرة منهما نرجو
بتوفيق ذى الجلال تعالى ،

أن نرى عودة الخوان مليئاً بطعام ،
وأن ننام الليالى ،
لا نخاف الخناجر الدمويات بحفل ،
أو إن أتينا وليمة ،
بل نؤدى الولاء عن إيمان ،
وننال التشريف حراً كريماً .
إن هذا ما نرتجيه ،
ونبكى حظنا منه هذه الأيام .
ولقد جاءت التقارير عن ذلك للملك ،
فاستشاط غليله .
وأعد الجيوش يبغى قتالا .

لنوكس : أتراه أراد دعوة مكدف .

الأمير : قد دعاه فرد رداً صريحاً :
قال : « لا يا سيدى فلست بآت » .
فأدار الرسول ظهراً إليه ،
وعلى وجهه سحابة غيظ .
ثم ولى مهمهماً مثل من قال :
« لعمرى لتندبن زماناً
فيه أثقلتنى بهذا الجواب » .

لنوكس : إن هذا قول جدير بأن يوحى إليه
نصيحة التحذير ،
عله ينتحى بمنأى بعيد ،
قدر تدبير حزمه واحتياله .
ليت بعض الملائك الطهر يمضى
طائراً للبلاط فى إنجلند ،
ليؤدى فحوى رسالته تلك إليه
قبل الرجوع إلينا .
فعسى الرحمة السريعة ترتد
إلى هذه البلاد الوجيعة ،
تحت أثقال قبضة ملعونة .

الأمير : لبعثت الدعاء فى صلواتى معه !

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

فى هذا المنظر الأول من الفصل الرابع تظهر الساحرات الثلاث وهن يحضرن الأرواح بطرق سحرية تدعو إلى السخرية وفيها سخف كثير كان المقصود به على أغلب الظن مفاكهة جمهور النظارة فى ذلك العهد ببعض ما يضحك من العبارات التافهة . وقد ترجمناها إتماماً للقصة وهى غير جديرة بذلك وكثير من النقاد ينكر نسبتها إلى شكسبير .

كهف فى وسطه قدر تغلى . رعد ، تدخل الساحرات الثلاث .

الساحرة الأولى : ماءت الرقطا[1] ثلاثاً ،

الساحرة الثانية : نأم القنفذ إحدى وثلاث .

الساحرة الثالثة : والحريبا صوتت ،

هيا . أتى الوقت . هلموا .

الساحرة الأولى : حلقوا حول القزان ،

واقذفوا فيه نقيع السم مما يحتويه المُصران .

---

(١) القطة الرقطاء وهى مما تستخدمه السحرة . وكذلك القنفذ والحيوان الآخر الذى عربنا اسمه وجعلناه الحريبا وهو حيوان خرافى وشكسبير يطلق عليه اسم Harpier

ضفدع السم الذى أدمن نوماً ،
تحت صخر بارد ينفث سما .
فى ثلاثين وإحدى من ليال ،
غبرتْ من بعد أيامٍ طوالْ .
فاجعلوا ذلك يغلى أولا ،
فى وعاء السحر .

الجميع : ضاعفوا العنا ، ضاعفوا الضنا .
أحرقى يا نار ، فورى قدرنا .

الساحرة الثانية : قطعة من حية ذات سنان ،
فاخبزوها واسلقوها فى القزان .
عين بقة ، أصبع من ضفدعة .
صوت خفاش ومن كلب لسان .
ومن الثعبان هاتوا شوكة ،
جل برص وجناح بوم ،
ذلك السحر له أخطر شان ،
كشراب النار يغلى ويفور .

الجميع : ضاعفوا العنا ، ضاعفوا الضنا .
أحرقى يا نار ، فورى قدرنا .

الساحرة الثالثة : قشر عنقا ، سن ذيب ، مومياء السحرة .

جوف قرش فى المحيط الملح معروف الشره ،
جذر زقوم جنوه فى الظلام .
وخذوا كبد يهودى مُحِلٍّ للحرام .
بعض صفراء لعنز ، شقط شاه ،
نزعوه وقت خسف للقمر .
أنف تركى ، شفاه تترى .
أصبع الموءود من نسل الُحفَر .
واجعلوا الخلط ثخيناً لزجاً ،
وأضيفوا بعض أمعاء النمو ،
تكمل الأخلاط فى وعائنا هذا الكبير .

الجميع : ضاعفوا العنا ، ضاعفوا الضنا .
أحرقى يا نار ، فورى قدرنا ،

الساحرة الثانية : بردوها بدماء القردة .
يثبت السحر ويقوى أمَدَه .

(تدخل هيكات إلى الساحرات الثلاث الأخريات)

هيكات : أوه أحسنتم وأهديكم ثنائى
للذى كُلفتموه من عناء
ولكلٍّ منكم قسط يصيبه .

من جنى الربح يوافيه نصيبه .
فهلموا الآن حول القدر غنوا ،
مثلما يرقص آزاب وجن .
حلقة مسحورة من صنع عبقر ،
كل ما تلقون فى الحلقة يُسحر .
(موسيقى وغناء : أيها الأرواح السود إلخ)
(تخرج هيكات)

الساحرة الثانية : إننى أشعر وخزاً فى بنانى ،
ريح شيء منكر الحلقة دانى ،
يا مغاليق افتحى لمن دعانى .

(يدخل مكبث)

مكبث : إيه أنتن ياشوائه نصف الليل ،
أهل الخفاء سود الطوية !
أى شيء تفعلن ؟

الجميع : نفعل شيئاً لا يُسمى .

مكبث : هيه إنى نشدتكن بما تنبئن عنه :
أنَّى أتاكن علمه ،
أن تجدن الجواب عما أريده .
لا أبالى إذا حللتن قيد الريح ،

حتّى تصلى الكنائس حرباً .
أو إذا الموج ثار يعصف عصفاً
بالجوارى فى البحر ثم طواها .
أو إذا دك بأرض القمح بالأرض ،
وطاحت من أصلها الأشجار .
أو إذا انهارت القلاع وخرت
من عل فوق رأس من يحميها .
أو إذا مالت العمائر والأهرام ،
من رأسها إلى الآساس .
أو إذا فجرت نفائس ما فى الكون
مما يحوى بذور الحياة ،
فغدت كلها كثيباً مهيلا .
ثم عم الفناء فى الكون ،
حتّى يسأم الموت كثرة الإفناء ،
لا أبالى من كل ذلك شيئاً ،
فلتجاوبن ما أسائلكنه .

الساحرة الأولى : قل

الساحرة الثانية : وسلنا

الساحرة الثالثة : نجب

الساحرة الأولى : قل إذا كنت تطلب السمع من أفواهنا ،
أم تريد من أسيادى ؟

مكبث : بل تحضرنهم لعلى أراهم .

الساحرة الأولى : أطعمى النار دم خنزيرة ،
أكلت من ولدها تسع جراء .
ثم ألقى دهنة من قاتل ،
فوقها من عرق الشنق طلاء .
أهرقى فوق اللهيب .

الجميع : أيها الأرواح هيا ، من عظيم وحقير .
أظهروا أنفسكم ، بينوا السر الخطير ،

(رعد . يظهر الشبح الأول — رأس مدرّع)

مكبث : خبرينى يا أيها القوة المخفى أسرارها . . .

الساحرة الأولى : تمهل ودعها .
إنها تعرف الخفى بأفكارك ،
فاسمع ولا تفه بحديث .

الشبح : فلتحاذر مكبيث مكبيث من مكدف ،
حاذر مكبيث من قَيْل فيف .
أصرفونى . كفى ! (ينزل)

مكبث : فلتكن من تكون ، لكننى أشكر هذا الصنيع
في تحذيرى .
إنه مس فى المخاوف أوتاراً
أرنّت حقاً إلى ما تقول .
غير أنى أريد منك مزيداً :
ليس إلا لفظاً صغيراً وحيداً .

الساحرة الأولى : إنه لا يطيع أمراً ،
ولكن ها هنا غيره أعز وأقوى
من أخيه الذى مضى .

(رعد . يظهر شبح ثان . طفل يدمى)

الشبح الثانى : استمع لى مكبيث مكبيث مكبيث !

مكبث : ليت عندى ثلاث آذان .
حتى كنت أصغى إلى الحديث بهِنّه .

الشبح الثانى : كن جريئاً واحزم وكن سفاحاً ،
واضحك السخر من قوى الإنسان.
لن يحيق الأذى بمكبث
ممن وضعته النساء بالميلاد .

مكبث : وعلى ذلك فاحىْ مكدف ،
لا حاجة بى أن أخاف من عدوانك .

غير أني أرجو السلامة ضعفاً
بوثيق العهود عند القضاء .
وإذن لا تعش ،
لأخبر خوفى أصفر القلب إنه لكذوب ،
وأسيغ الكرى برغم الرعود .
(رعد . يظهر الشبح الثالث . طفل عليه تاج وبيده غصن) .
أى شيء هذا الذى يصعد الآن
كأنى به سليل ملوك ؟
يتحلى جبينه الطفل بالتاج ،
وتعلوه حلية الملكية .

الجميع : صه ! وحاذر من الحديث إليه .

الشبح الثالث : كن من الأسد معدناً وتجبر
لا تعر جانبَ التفات إلى من يتأذى ،
أو من يثور مغيظاً .
لا تسل أين يكمن الثوار .
أبد الدهر ما لمكبث أن يقهر
ما لم تسر عظام الأجام ،
زاحفات عليه من صوب برنام ،

إلى تل دنسنان العالى . (ينزل)

مكبث : إن هذا ما لا يكون ،

ومن ذا يخضع الغاب عنوة واقتدارا ،
ملقياً أمره على الدوح
أن يجتث ما غار فى الثرى من جذوره ؟
نعمت البشريات ! هذا جميل !
لن تقيمى يا أيها الثورة الرأس
إلى أن تقوم غابة برنم
وسيحيا إلى مدى أجل العقد الطبيعى
شخصنا مكبيث ،
أبداً صاحب المكان الرفيع .
فيؤدى حق الزمان من الأنفاس ،
مثل الورى كشأن الحياة .
غير أن الفؤاد يخفق تواقاً
إلى الكشف عن سؤال وحيد .
فلتقل لى ، ما دام علمك بالغيب
محيطاً بكل ذلك خُبراً ،
أيولّى من نسل بنكو ملوك
ذات يوم لحكم هذى البلاد ؟

الجميع : لا تحاول أن تستزيد من العلم .
مكبث : ولكن لا بد من إقناعى .
فإذا لم تجبنى فعليكن مدى الدهر
لعنة الآباد .
هيه خبرننى ! ولكن لماذا تختفى القدر ؟
أى صوت هذا ؟

(ضجة عالية)

الساحرة الأولى : بينوا !
الساحرة الثانية : بينوا
الساحرة الثالثة : بينوا .
الجميع : بينوا لعيونه . حركوا لشجونه
واظهروا كالظلال . واختفوا كالخيال .
(يظهر عرض لثمانية ملوك يحمل آخرهم مرآة فى يده
وشبح بنكو يسير وراءهم)
مكبث : أنت هذا ! أراك أشبه شىء منظراً
أن تكون طيفاً لبنكو .
فاختف عنى ! فإن تاجك يكوى موق عينى !
وأنت يا ذاك أيضاً .
أيها الآخر الذى انعقد العسجد

من حول حاجبيك إطاراً ،
لك شعر كشعر من كان قبلك .
وأرى ثالثاً شبيهاً بمن مر ،
فويل الكنّ من دنسات !
فيم تطلعنى على ذلك المنظر ؟
بل ذاك رابع يتجلى !
غادراً محجرىّ عيناى ! ماذا ؟
هل سيمتد ذلك الخط سمطاً
مستمرًّا إلى غداة النشور ؟
وى ! وهذا سواه بعد . وهذا سابع .
لن أرى سوى ما رأيت .
بل أرى ثامناً أتى يحمل المرآة
تبدى من بعد عدًّا عديداً .
وأرى بعضهم عليه شعار
كرتان على سيوف ثلاثة .
إنه منظر فظيع . وويحى !
إننى قد رأيته الآن حقًّا .
ذاك بنكو ، يلوح لى أشعث الشعر
بما فيه من دم معقود .

باسما . ناظراً إلى ، مشيراً نحوهم
إنهم سلالة بيته .
ما دهانى ؟ أكان فى الحق هذا ؟ (يختفى الشبح)

الجميع : أى نعم يا أيها السيد هذا الحق كله .
لِمَ يبقى واقفاً مكبث كالمخبول عقله .
فتعالين أُخيّاتى لنحيي فيه روحه .
ونريه خير ما نبرع فيه من مروحه .
أنا هذا أسحر الجو بسحرى ليغنى .
إذ تؤدّين على حَلْقتنا من أعجب فن .
كى يقول الملك الأعظم عن طيب طويّة .
إننا قمنا بما يقضى به حسن التحية ؛
(موسيقى وترقص الساحرات ثم يختفين مع هيكات)

مكبث : أين هم ؟ هل مضوا ؟ ألا إنها ساعة نحس
ما زالت الدهرَ نحساً .
من هناك ؟ اسمعوا !

لنوكس : مشيئة مولاى ؟

مكبث : ألم تبصروا الثلاث السواحر ؟

لنوكس : ما رأينا مولاى .

مكبث : ما سرن بالقرب ؟

لنوكس : ولا ذاك سيدى عن يقين .

مكبث : فليعم الوباء جو هواء

همن سبحاً عليه فى سيرهنَّه

ولتكن لعنة على كل من صدق

قولا يقال فى سجعهنه .

من أتى ها هنا ؟ سمعت خيولا تركض الآن ؟

من يكون عليها ؟

لنوكس : إنه اثنان أو ثلاثة فرسان لمولاى

يحملون حديثاً .

ويقولون إن مكدف ولى نحو إنجلترا.

مكبث : يقولون ولى نحو إنجلترا ؟

لنوكس : كذلك قالوا سيدى السمح .

مكبث : أيها الوقت أنت تسبق تدبيرى

لما رمت من فعالى الرهيبة .

والمنى السانحات لا تدرك البتة

ما لم يصاحب القول فعله .

فلعمرى لأجعلن من الآن

أوالى فكرى أوالى فعالى ،

بادئاً منذ ساعتى باتخاذ الفعل

تاجاً على جبين النوايا .
كلما جال خاطر فى فؤادى
بادرت همتى إلى إنقاذه .
فلأبادر مفاجئاً قصر مكدوف ،
فأنقضُّ فوق إقطاع فيف ،
مورداً زوجه ذباب حسامى ،
وبنيه ، وكل روح شقى
ينتمى عرقه إلى أعراقه .
ليس قولى هذا هراء كما يهرف هاذ ،
بل ذاك أمر سيقضى ،
قبل أن يفتر اتجاهى لقصدى .
قلك يا نفس ! لا مناظر بعد اليوم .
أين الفرسان ؟ هيا إليهم
حيث كانوا . (يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

فيف . قصر مكدف . تدخل زوجة مكدف وولدها وروس .

زوجة مكدف : لست أدرى ماذا جنى ،
فيولى هارباً من بلاده .

روس : مولاتى ،
ينبغى أن يكون عندك صبر .

زوجة مكدف : لم يكن عنده أثارة صبر ،
إن هذا الهروب كان جنوناً .
إن يكن فعلنا بريئاً ،
فإن الخوف يفضى بنا لوصم الخيانة .

روس : لست تدرين ما إذا كان عقلا
أم من الخوف ما أتى .

زوجة مكدف : أى عقل ؟
يترك الزوج ، يترك الطفل والبيت
وأملاكه بأرض ، وينجو
هارباً منه لائذاً بالفرار ؟
إنه لا يحبنا ، وهو خال

من حنين الغريزة البشرية .
إن عصفورة ضئيلة قدر ،
قد تراها من أصغر الطير جسماً ،
تتصدى للبوم بالحرب ذبًّا
عن فراخ فى عشها ترعاها ،
إنه الخوف كل شيء وما الحب بشيء ،
وبئس عقل ضئيل
قد يؤدى إلى هروب كهذا ،
يتنافى وحكم كل العقول .

روس

يا ابنة العم والأثيرة فى نفسى ،
حنانيك ، روضى النفس صبراً .
فإذا شئت وصف زوجك حقًّا ،
فهو العاقل النبيل الحكيم ،
إنه خير من تمرس بالعصر ،
وما يعتريه من عصفات ،
لست أستطيع أن أفيض طويلا
فى حديثى من بعد هذا فحسبى .
يا لها قسوة من الدهر
أن نصبح فى الخائنين عن غير علم
بطوايا نفوسنا ،

أو نرى الوهم كما لو يكون خوفاً صحيحاً ،
دون علم منا بما نخشاه ،
بل على لجة ببحر عميق هائج
ما نزال نطفو حيارى ،
وإلى كل وجهه ننساق ،
فأذنى لى ، ولن أطيل غيابى عنك
حتى أعود ها هنا فى جوارك .
كل أمر إذا انتهى لحضيض ،
قر فيه أو عاد يعلو صعوداً
نحو ما كان فيه قبل هبوطه .
بنت عمى الحسناء ، بورك فيك .

زوجة مكدف : ولداه ! أبوه حى ،
ولكنى أراه غدا يتيما وحيداً .

روس : إن ما بى يكاد يذهل عقلى .
ولو انى بقيت أطول من هذا
لأزرى المقام بى ودهانى ،
ولأدى إلى إثارة وجدك .
فاسمحى لى بالانصراف سريعاً . (يخرج)

زوجة مكدف : أنت يا ذاك كيف تصنع من بعد ،

وهذا أبوك مات ؟ أجبنى .
كيف تحيا ؟

الابن : أماه كالطير أحيا .

زوجة مكدف : كيف هذا ، أبالذباب ودود الأرض ؟

الابن : أعنى بما أصيب بسعيي .
هكذا تفعل الطيور جميعاً .

زوجة مكدف : أيها الطائر التعيس ،
لقد تجهل خوف الشباك والأحبولة ،
تجهل الفخ والشراك الخفية .

الابن : لمَ أخشى أماه ؟
إن صغار الطير ليست مما يصاد بفخ .
والدى لم يمت على رغم قولك .

زوجة مكدف : بل لقد مات .
يا ترى كيف تحتال لتأتى بوالد تستعيضه ؟

الابن : بل ترى كيف تستعيضين زوجاك ؟

زوجة مكدف : إننى أشترى إذا شئت عشرين
بأى الأسواق

الابن : إن تشتريهم
فإلى البيع ثانياً .

زوجة مكدف : إنما تنطق بالقول من جميع فؤادك .
وعلى ذاك إنه لفؤاد
أيمن الحق ذو غناء لمثلك .

الابن : أأبى كان خائناً ؟

زوجة مكدف : أى نعم كان .

الابن : وما الخائنون ؟

زوجة مكدف : من يقسم الأيمان لكن يكون فيها كذوباً .

الابن : وهل الخائنون فى الناس طراً
من يكونون مثل هذا ؟

زوجة مكدف : جميعاً
كل فرد يأتى بأمثال هذا
خائن يستحق لا بد شنقاً .

الابن : كل من يقسم اليمين إذاً يكذب
لا بد أن يجازى بشنق ؟

زوجة مكدف : كل فرد .

الابن : ومن يقوم بشنقه ؟

زوجة مكدف : إنهم لا مفر أهل الأمانة .

الابن : وإذن فالذين يكذبون ويقسمون الأيمان قوم حمقى[1].

---

(١) فى هذه الفقرة عدل شكسبير عن وزن الشعر إلى النثر العادى فتبعه المترجم فى ذلك لمطابقة الأصل .

فإن فى الناس من الكاذبين ومن يحلفون الأيمان عبثاً
من يكفى لسحق أهل الأمانة وشنقهم جميعاً .

زوجة مكدف : كان الله فى عونك أيها القرد الصغير . ولكن قل لى
ماذا تصنع من أجل الحصول على والد ؟

الابن : لئن كان قد مات حقاً لكنت بكيته ، ومادمت لا تبكين ،
فهذا دليل قوى على أنى سأحصل سريعاً على أب جديد

زوجة مكدف : أيها الثرثار المسكين ما أعجب قولك !

(يدخل رسول)

الرسول : بارك الله فيك يا ربة الرقة ،
إنى امرؤ غريب عليك ،
غير أنى أدرى مكانك فى المجد ،
وأخشى عليك شراً خطيراً ،
وأراه يدنو إليك قريباً .
فإذا شئت فاسمعى نصح شخص
مخلص جاء من غمار الرجال ،
اهربى من هنا سريعاً بأطفالك ،
لا توجدى بهذا المكان .
قد أرانى فظاً غليظاً لإزعاجك خوفاً
بمثل هذا الحديث .

غير أن التقصير نحوك أنكى قسوة
والردى محيط بشخصك .
ليس لى أن أطيل بعدُ بقائى ،
حفظتك السماء ! (يخرج)

زوجة مكدف : أين منى الهروب ؟ لم آت شرًّا ،
بل أرانى أعيش فى العالم الأرضىّ
حيث الأذاة بالمدح أحرى .
حيث فعل الإحسان يؤخذ أحياناً
على أنه جنون خطير .
وإذن ما الذى أرجى ؟
وويحى من دفاعى هذا بشكوى النساء ،
وبقولى لم آت شرًّا .
ولكن أى شىء تلك الوجوه ؟

(يدخل قتلة)

القاتل : أجيبى ،
أين زوجك

زوجة مكدف : أرجو أنه حل موضعاً لم يدنس
بلقاء بمثلكم .

القاتل : هو عاص خائن .

الابن : أنت يا ذاك كاذب منحط .
أشعث الشعر

القاتل : ماذا ؟ أنت يا بيضةً ويا ناشئ الذر
من الخائنين ! (يطعنه)

الابن : قد أرداني ! أسرعي بالنجاة أماه — أرجو

(تخرج زوجة مكدف وهي تصرخ : القتل !
ويتبعها القاتل)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

إنجلترة . أمام قصر الملك . يدخل ملكولم ومكدف .

ملكولم : سر بنا نلتمس ببعض ربوع القفر ظلا ،
وفيه نسكب دمعاً ،
علنا نفرغ الصدور الحزينة .

مكدف : بل هيا نعقد الخناصر بالسيف
حليف الردى — فذلك أولى .
ولنقف وقفة الرجال أولى العزم
نحامى عن مهدنا المصروع ،
كل صبح يأتى جديداً على صوت نحيب
من الأيامى الجديدة ،
ويتامى جديدة تذرف الدمع ،
وحزن مجدد يتعالى ،
فيصُكّ السماء صفعاً على الوجه ،
ويرتد صوته أصداء .
فكأن السماء تشعر بالحزن
رثاء لما دها إيقوسا ،

فتدوى بصرخة الآلام .

ملكولم : سوف أبكى أسى إذا ما تجلى الحق عندى

والحق بعد اليقين .

فأواسى بما استطعت من العون ،

إذا أسمح الزمان بعونى .

ربما كان ما تقول هو الحق

فهذا العتى لو فهت يوماً

باسمه وحده لشاط لسانى .

غير أنى رأيته كان معروفاً لديكم

بالصدق والإخلاص .

ولكم كنت أنت تصفى له الحب ،

ولما يمسسك بعد بسوء .

إننى إن أكن صغيراً

فقد أعرف ما قد تناله من جزاء ،

حينما تستحقه عن طريقى .

ومن العقل أن يقدم قوم

حملا وادعاً صغيراً تعيساً ،

فى سبيل استرضاء رب حقود .

مكدف : إننى لست أضمر للغدر .

ملكولم : لكن هو مكبيث يضمر الغدر حقاً .

إن طبعا فيه السماحة والفضل
ليرتد ناكصاً للوراء ،
حين يرمى قذيفة السلطان .
غير أنى أرجوك عفواً وصفحاً ،
فظنونى ليست تبدل ما أنت عليه .
تبقى الملائك طهراً ،
مع أن الذى هوى[1] أسناها .
ولو أن الخبيث من كل شىء
يكتسى وجهه محيا السماحة ،
سوف يبقى وجه السماحة طلقاً .

مكدف : خاب ما كان لى من الآمال ،

ملكولم : على هذا لما بدا من شكوكى :

فيم أسرعت هكذا ، وتخليت
عن الزوج والصغار خفيفاً ؟
فيم غادرتهم بغير وداع ؟
إنهم من نفائس العطف للقلب ،
ومن أمتن العرى للمحبة .
غير أنى أرجوك لا تتأول

---

(١) إبليس الذى كان كبير الملائكة قبل سقوطه .

هجساتى بأنها وصماتك .
هى داعى سلامتى واحتياطى .
وعسى أن تكون حقاً سليم القلب
مهما تكن ظنونى .

مكدف : أسيلى
يا بلادى اللهفى دماء أسيلى !
وتمكن فى الأرض يا أبا الظلم عتيا ،
وضع أساساً متيناً ،
فلقد صارت المكارم لا تقوى
على أن تكف من عداوتاك .
وتسربل بما جنيت من الآثام ،
قد أصبح ادعاؤك حقاً .
ووداعاً مولاى ، لست لأرضى
أن أكون الوغد الذى قد تظنه ،
فى سبيل امتلاك ما يملك الظالم
من رقعة البلاد الفسيحة ،
لو أضيف الشرق الغنى إليها .

ملكولم : قلك لا تبتئس ، فما كان قولى
لاقتناعى بالخوف منك يقيناً ،

قد أرى أرضنا تطأطئ للنير
وتجرى دموعها وهى تدمى .
وتعانى فى كل يوم جديد
طعنة فوق ما بها من طعان .
بل أرى أنه ستمتد أيد فى سبيلى
من أجل نصرة حقى .
وهنا العاهل الكريم حبانى
هبة من ألوف جند كثار .
فتصور ، وكل ذلك عندى ،
أننى قد وطئت رأس الطاغى ،
أو لو انى حملته فوق سيفى .
فبلادى اللهفى ستلقى من الآثام
فوق الذى دهاها قديماً .
ستقاسى من النوائب أدهى ،
وصنوفاً شتى وأكثر عدًّا ،
من بلايا حاقت بها منذ حين .
كل هذا يجره من يولى بعده الملك .

مكدف : من عساه يكون ؟

ملكولم : أنا أعنى نفسى ، فقد طُعِّمت فيها

صنوف الأرجاس من كل جنس .
ولئن فتحت وأخرجت الزهر ،
لأضحى سواد مكبث بياضاً ،
صافى اللون فى نقاء الثلوج .
وسيبدو مكبيث كالحمل الوادع
فى نظرة البلاد التعيسة ،
كلما قيس شرّه بشروري ،
إنها لا يحيطها التحديد .

مكدف : ليس بين الحشود ممن يساقون
إلى النار دارة الأهوال ،
مارد قد يكون أكثر من مكبيث لعناً فى الشر
حتّى يفوقه .

ملكولم : هو حقّاً عرفته سفاحاً ،
فاجراً كاذباً خبيثاً عنيفاً ،
مفعم القلب بالخبائث والحقد ،
وفيه من كل رجس مسمى .
غير أنى أقول إن فجوري
ما له منتهى لأى قرار .
ولخير من حكم شخص كهذا

حكم مكبيث .

مكدف : إن هذا التمادى

في اتباع الهوى بغير حدود ،

يستذل النفوس للأهواء .

فلكم ثلَّ ركن عرش سعيد

لم يعمر ، وكم أزال ملوكاً .

غير أنى أقول لا تخش أن تحمل عبئاً

عليك فرض احتماله .

وتنقل بمسرح لهوك فى رغد فسيح

وأنت تبدو قريراً ،

وادعاً تحت ظُلة الستر ،

لا يبصر أهل الزمان منك مريباً .

ملكولم : فوق هذا أقول إن فؤادى

ينطوى فوق أخبث الأدران .

وبأحنائه هنالك ينمو

كل ما لا يروى من الأطماع .

فلو انى أصبحت مَلْكاً ،

لقطعت رؤوس الأشراف من أمرائى ،

طمعاً فى عقارهم :

أبتغي جوهر هذا وبيت ذاك أريده .
وبقدر المزيد ينمو اشتهائى ،
فيقوى شراهتى للمزيد .
وأثير الحروب بالكيد ظلماً ،
ضد أهل الولاء والأبرار ،
ثم أودى بهم لأجل الثراء .

مكدف : إن تلك الأطماع أثبت غوراً ،
وهى عند النمو أفتك جذراً ،
من فجور كالصيف يمضى وشيكاً .
إنها كانت الحسام لمن قُتِّل من قبل
من ملوك البلاد .
غير أنى أقول لا تخش شيئاً .
فإسقوسا فيها جنى وافر الخير ،
سيكفيك ما تحب جميعاً ،
من حلال يكون حقك وحدك .
كل هذى أخف عبئاً إذا ما
وازنتها لنا محاسن أخرى .

ملكولم : ليس منها شىء لدى ،
فما بى ما يزين الملوك من حسنات ،

من خلال كالعدل والصدق والعفة
أو كالثبات والإحسان .
ليس عندى الدؤوب والرفق والصبر ،
وما بى تواضع أو ولاء .
أنا خلو من الشجاعة فى الحرب ،
وما كنت بالقوى الجليد .
أنا لا أستسيغ من ذاك شيئاً ،
غير أنى أصبت من كل صنف
من صنوف الإجرام حظّاً وفيراً ،
سالكاً نحوها مسالك شتى .
فلو أن السلطان عندى
لأهرقت لبان الوئام عذباً شهيّاً ،
ولدفّقته بنار الجحيم .
ونسفت السلام فى الأرض جمعاء ،
وبددت شمل كل اتحاد
فوق سطح الثرى .

مكدف : إيقوسا إيقوسا !

ملكولم : فإذا كان مثل هذا جديراً
بتولى حكم البلاد فقلها .

إننى مثل ما وصفت .

مكدف : جديراً بتولى حكم البلاد ؟ ألا لا !

إنه ليس بالحياة جديراً .

إيه يا أمة تعست بظلام دعىّ

ذى صولجان دام .

فمتى تبصرين عودة أيامك

ذات الصفاء والإسعاد ؟

حين هذا سليل عرشك صافى العرق

ينعى بنفسه آثامه ،

شاهداً أنه لعين ،

ويلقى وصم عار على سلالة عرقه

كان أتقى الملوك والدك الملك ،

وقد أنجبتك أم مليكة ،

قطعت فى الركوع أكثر مما

قطعت فى المسير من آناء .

ترقب الموت كل يوم تعيشه .

فوداعاً ! فما شهدت على نفسك فيه

من هذه السيئات ،

قد نفانى عن أرضنا إيقوسا .

وافؤادى ! هنا ختام رجائك !

ملكولم : هيه مكدف !

إن هذا الحزن النبيل ، وليد الصدق فى الطبع ،
قد محا من ضميرى
ما به من شكوكه السوداء .
وأعاد السلام بين ظنونى وسجاياك
من وفاء وصدق .
كان مكبيث فى دهاء الشياطين
يسوّى أمثال تلك الشراك ،
ساعياً أن يصيدنى فى يمينه .
فإذا العقل بالأناة ينجينى
بنزعى من سرعة التصديق .
لكن الله فوقنا . هو يقضى الأمر
فيما يكون بينى وبينك .
أنا هذا ألقى إليك قيادى
منكراً ما زعمت فى ذم نفسى .
ها هنا أقسم اليمين على أنى برىء
من كل طعن ولوم ،
فى أمور ألقيتها فوق نفسى كذباً ،
وهى أجنبية عن طباعى .

ما تزال النساء يجهلنني بعد ،
وما قلت كذبة فى يمين .
ولقد كدت لا أتوق إلى ما هو حقى ،
وما نقضت عهودى .
لست أرضى بالغدر ، لو أمن الشيطان لى
لم أخنه عند قرينه .
واغتباطى بالحق ليس بأدنى
فى اعتبارى من غبطتى بالحياة .
ولقد كان أول الكذب عندى
هو هذا ما قلته ضد نفسى .
فليكن معلنى الحقيقى ملكاً لبلادى اللهفى
ورهناً لشخصك .
ومن الحق أنه كان فى النية
غزو البلاد قبل مجيئك .
ولهذا تجرد الشيخ سيورد
على رأس عشرة من ألوف
من رجال الحروب ، تعتزم السير على أهبة
فهيا جميعاً .
وعسى حظنا يكون من السعد

على قدر حقنا فى الجهاد .
فيم تبقى ملازماً للسكوت ؟

مكدف : فاجأتنى تلك الأمور ،
فبعض مستحب والبعض منها كريه ،
ومن الصعب بينها التوفيق . (يدخل طبيب)

ملكولم : حسبنا والمزيد بعد قليل .
– أترى يخرج المليك ؟ تكرم فأفدنى .

الطبيب : أى سيدى ، ذاك جمع
من نفوس طغى عليها الشقاء ،
قد أقاموا على انتظار شفائه .
داؤهم أعجز احتيال النطاسى ،
فإن مسهم شفاهم سريعاً .
هذه نفحة القداسة
مما وهبت قدرة الإله لكفه .

ملكولم : لك شكرى دكتور (يخرج الطبيب)

مكدف : ما ذلك الداء ؟ وماذا يعنى ؟

ملكولم : يسمى الداء .
هو سر فى ذلك الملك الطيب
يأتى بأعجب المعجزات .

لست أدرى طريقه فى دعاء الله ،
هذا من شأنه وهو أدرى .
غير أنى رأيت قوماً يجيئون إليه
بأعجب الأدواء .
ورم كلهم وقرح يثير العين حزناً
ويعجز الطب يأساً .
فهو يشفى منها بتعايق نوط ذهبى
يناط بالأعناق ، . .
قارئاً من دعائه المبرور .
ويقولون إنه سوف تبقى بعده
نعمة الشفاء تراثاً
للملوك الذين يأتون بعده .
وله فوق هذه الميزة الفذة
أخرى — عطية علوية :
قدرة الكشف فى التنبؤ بالغيب ،
وشتى مواهب لدنية .
طائفات بعرشه ناطقات
إن فيه فيضاً من البركات (يدخل روس)

مكدف : أترى من أتى هنا ؟

ملكولم : بعض قومى

غير أنى لا أهتدى من يكون .

مكدف : يابن عمى النبيل أهلا وسهلا ها هنا .

ملكولم : قد عرفته بعد لأى .

رب أنت اللطيف فاكشف من الغمة

ما قد حدا بنا للتجافى .

روس : رب آمين .

مكدف : هل إيقوسا على العهد ؟

روس : لك الله يا بلادى التعيسة !

إنها قد تكاد تفزع أن تعرف

أغوار نفسها إشفاقاً .

لم تعد أمنّا ولا ندعيها أمّنا ،

بل غدت لنا اليوم قبراً .

ليس فيها من باسم غير فدْم

جاهل لا نراه يدرك أمراً .

وبها كل زفرة وأنين ،

وعويل يشق صدر الهواء ،

تتعالى لكنها لا تبالى .

فكأن الأسى المروع فيها

صار ملهى مكرراً مألوفاً ..
رب ميْت ناقوسه يقرع النعى
فلا يسألون من ذا يكون .
ونفوس الأبرار تقضى
ولما يقض زهر برأسهم معقود ،
لم يصوح ولم يصبه الذبول .

مكدف : إن هذا وصف أدق من الدقة
لكن فيه صدقاً مريراً .
ما أجدّ الأنباء عندك عهداً ؟

روس : يتوالى الجديد كل دقيقة .
غير أن الذى يجال من يرويه بالخزى
عمره قدر ساعة .

مكدف : كيف زوجى ؟

روس : بخير حال .

مكدف : وأطفالى جميعاً ؟

روس : بخير حال كذلك .

مكدف : أوَما شن ذلك الظالم الحرب
على صفوهم ليهدم صرحه ؟

روس : لا ، فإنى تركتهم فى أتم الصفو .

مكدف : قل لى ما كان سير الأمور .
لا تكن كالبخيل فى بذل قولك .

روس : عند ما جئت ها هنا أحمل الأنباء .
والقلب مثقل بهمومه ،
كان يجرى فى الناس أقوال شتى
عن جموع من فتية أحرار ،
خرجوا للجهاد . والرأى عندى
أن تلك الأقوال بالصدق أحرى .
ودليلى أنى رأيت قوى الظالم
قد عبئت على استعداد .
فهيا ، تلك ساعة الإسعاف .
عينكم فى إيقوس قد تخلق الجند ،
وتدعو نساءنا للقتال ،
كى يزيحوا عنهم شديد الكروب .

ملكولم : فليكن باعث العزاء إليهم
أننا نزمع المسير هنالك .
إن إنجلترا الكريمة أهدتنا
بسيورد طيب الأعراق ،
فى ألوف عشر من الأجناد .
ولعمرى ما فى بلاد المسيحية

من بين جندها المشهود ،
فارس فاقه غناء وسنا .

روس : ليتني أستطيع أن أجعل الرد
على ذلك العزاء بمثله .
إن عندى قولا جديراً بأن يلقى
عويلا على هواء الصحارى
حيث تنأى عن وعيه الأسماع .

مكدف : أى شيء تعنى ؟
أتعنى مصاباً يشمل القوم أم فؤاداً وحيداً .

روس : ما فؤاد إلا ينال نصيباً
من جواه متى يكون شريفاً .
إنما جله نصيبك وحدك .

مكدف : إن يكن لى فلا تؤخره عنى ،
هاته مسرعاً إلى من يخصه .

روس : لا تدع مسمعيك من وقع قولى
أبد الدهر يحقران لسانى ،
سيصيبان منه أثقل صوت
سمعاه على مرور الزمان .

مكدف : مه ! أرانى أصبت فيه بحدسى .

روس : قصرك اجتيح فجأة ،
وذراريك مع الزوج ذبّحوا وحشياً .
ولو أنى وصفت ما كان
لازداد ركام القتلى الأعزة ركما ،
حين يقضى عليك .

ملكولم : رحماك ربى !
ويك لا تجذبن قبعة الرأس إلى حاجبيك ،
أنطق شجونك .
فإذا الحزن لم يحدث بنطق
همس الأمر للفؤاد المعنى
« أن تحطم » .

مكدف : وهل صغارى كذلك ؟

روس : كل من أدركوه فى القصر ،
فالزوج وكل الأطفال والخدام .

مكدف : ونصيبي ألا أكون هنالك !
أفزوجى كذاك قد قتلوها ؟

روس : قلت هذا ،

ملكولم : هون عليك وهيا نتخذ ثأرنا العظيم دواء ،
فنداوى تلك الشجون الدّويّة .

مكدف : ما له صبية ! أكل صغارى ؟

ظرفائى ؟ أأنت قلت جميعاً ؟

أجميعاً يا حدأة النار ؟

حقـًّا كل زغبى الظراف والأم جمعاً

خـُطفوا فى انحدارة مشئومة ؟

ملكولم : غالب الحزن كالرجال .

مكدف : سأسعى ، غير أنى مثل الرجال أحسه ،

ما بوسعى سوى ادّكار مواض ،

كن للنفس أنفس الأشياء .

أترى كانت السماء تراهم وتخلت عنهم ؟

فويحك مكدف !

أنت ذو الذنب . قد أصابتهم الخبطة جمعاً

بأنهم فى سبيلك .

لستُ شيئاً ، وإنما نزل القتل بأرواحهم

عقاباً لذنبى ،

لا لعيب فى نفسهم .

فعليهم رحمة الله فى السماء الآن .

ملكولم : فليكن ذاك صقيلا لحسامك .

اجعل الحزن غضبة لا تفلّ القلب ،

بل تستثير فيه الحفيظة ،

مكدف : آه لولا أشبهت أنثى بعينىّ
وثرثرت هادراً بلسانى !
غير أنى أرجوك يا صاحب الألطاف
ألا تطيل وقت انتظارى .
وأجئ لى شيطان إيقوس هذا
نتلاقى فى الحرب وجهاً لوجه ،
وأقمه على مسافة سيفى ،
ولئن فاتنى ، فأسأل ربى
فوق هذا لذنبه غفراناً .

ملكولم : هذه نغمة الرجولية الحق ،
فهيا إلى لقاء المليك .
جيشنا قد أعد ،
لم تبق فينا حاجة غير إذننا بالمسير .
إن مكبيث قد تهيأ فى النضج
فهيا نهزه للقطاف .
وقوى الله فوقنا تلبس العدة للحرب ،
فانطلق لانتصار .
فلعمرى ما أطول الليل
أما كان لا يهتدى لضوء النهار . (يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

قصر دنسنان . غرفة انتظار فى القصر . يدخل طبيب وسيدة من الأتباع .

الطبيب : لقد بقيت معك نراقب فى انتباه مدة ليلتين ، ولكنى لم ألاحظ ما يدل على صدق قولك . متى كانت آخر مرة رأيتها فيها وهى تمشى .

السيدة : منذ ذهب صاحب الجلالة إلى ميدان القتال . وقد رأيتها تقوم من سريرها فتلقى قميص النوم فوق جسمها ، ثم تفتح صندوقها وتخرج منه ورقاً تطويه وتكتب عليه ثم تقرؤه ، وبعد ذلك تختمه وتعود إلى فراشها — كل هذا وهى نائمة فى أعمق سبات .

الطبيب : هذا اضطراب شديد فى الطبيعة لأنها تكون فى سبيل الاستفادة من النوم وفى الوقت عينه تعانى جهد السهر . ولكن خبرينى بما كان منها فى أثناء هذا الاضطراب النومى غير المشى وما تأتيه فى حركاتها من الأعمال ، أما سمعتها تتحدث بشىء ؟

السيدة : أما هذا فلن أقول عنه شيئاً يا سيدى .

الطبيب : أنت فى حل من أن تقوليه لى . بل إنه من واجبك .

السيدة : لا أقول لك ولا لغيرك إذ ليس عندى ما يشهد على صدق قولى . انظر ها هى ذى مقبلة . (تدخل زوجة مكبث ومعها شمعة)

هذه عادتها كل مرة . أقسم بحياتى إنها فى أعمق نوم . انظر إليها . لا تظهر نفسك .

الطبيب : وكيف أتت بهذا النور ؟

السيدة : لا عجب ! فإنه كان إلى جنبها . النور إلى جنبها دائماً . هذا أمرها .

الطبيب : ألا ترين أن عينيها مفتوحتان ؟

السيدة : صحيح ولكن إحساسهما مغلق .

الطبيب : ماذا تفعل الآن ؟ انظرى كيف تفرك يديها .

السيدة : حركة عادية عندها كأنها تغسل يديها . وكثيراً ما رأيتها تستمر فى هذه الحركة ربع ساعة .

زوجة مكبث : هنا بقعة ما تزال .

الطبيب : إنها تتكلم . سأكتب كل ما يصدر منها . فهذا أقوى لذاكرتى .

زوجة مكبث : اذهبي أيتها البقعة اللعينة . زولى ! اسمع : واحد

اثنان ، هلم إذن فهذا وقتها . إنها لزجة كالجحيم .
عار عليك يا سيدى . أجندى وتخاف ؟ ولكن من
كان يظن أن الشيخ يحتوى على كل هذه الدماء .

الطبيب : أتلقين بالك إلى ما تقول ؟

زوجة مكبث : كان لأمير فيف زوجة، فأين هى الآن ؟ أما تنظُف
هاتان اليدان أبداً . كفاك هذا يا مولاى . لا مزيد
من هذا . أنت تفسد كل شىء بهذا الارتجاف .

الطبيب : هيا هيا ! لقد سمعت أكثر مما ينبغى .

السيدة : بل هى التى قالت ما لا ينبغى . هذا لا شك فيه عندى
والله يعلم ما فى ضميرها .

زوجة مكبث : ما يزال هنا ريح الدم . كل عطور بلاد العرب لن
تعطر هذه اليد الصغيرة . آه ! آه . آه .

الطبيب : يالها من زفرة ! إنه لقلب مثقل بالأسى .

السيدة : أرجو ألا يكون فى صدرى مثل هذا القلب ولو خلعت
كل العظمة على سائر أعضاء جسمى .

الطبيب : طيب طيب طيب !

السيدة : اسأل الله أن يستجيب لدعائى يا سيدى .

الطبيب : هذا مرض لا يصل طبى إلى علاجه ، وقد عرفت

آخرين كانوا يسيرون فى نومهم ، ولكنهم ماتوا أبراراً
على فراشهم .

زوجة مكبث : اغسل يديك . ضع عليك قميص النوم . لا تظهر
بهذه الهيئة . أعيد عليك قولى إن بنكو قد دفن وما
كان ليخرج من قبره

الطبيب : وهذا أيضاً ؟

زوجة مكبث : هلم إلى الفراش . هيا . أسمع طرقاً على الباب .
تعال تعال تعال . ناولنى يدك . ما كان كان ولا يمكن
الرجوع فيه . إلى الفراش . إلى الفراش .

(تخرج)

الطبيب : أهى ذاهبة إلى فراشها ؟

السيدة : ذاهبة تواً

الطبيب : همسات تذيع بالسوء ،
والمسخ من الفعل يجعل الظن مسخاً .
ومتى كانت العقول مراضاً ،
رشحت سرها بضم الوساد .
هذه أكثر احتياجاً إلى القديس
منها إلى علاج الطبيب .
رب يا رب ! أعف عنا جميعاً .

تابعيها بكل عطف ،
ونحى كل ما يوقع المضرة عنها .
واجعلى شخصها قبالة عينيك
وحسبي هذا . نعمت مساء .
حار عقلى منها وأذهلت العين
فعقلى يرى ويعيا لسانى

السيدة : أمس بالخير أيها الطبيب الطيب .

الفصل الخامس

المنظر الثانى

ريف بقرب دنسنان . طبول وأعلام .

يدخل منتيث وكيثنس أنجوس ولنوكس وجنود .

منتيث : قوة الإنجليز ها هى ذى بالقرب منا
يقودها ملكولم .
ثم سيورد خاله ونبيل القلب مكدف ،
والثأر فيهم ضرام .
إن ما ينشدونه من جهاد
فى سبيل محبب للقلوب ،
لجدير بأن يحرك منْ كانه
من الناس خامد الإحساس ،
فيخوض الوغى المُمِضّ الدامى .

أنجوس : قرب غاب البرنام لا بد نلقاهم ،
فهذا اتجاههم فى المسير .

كيثنس : أيكم يعرف الحقيقة فى أمر دنالبين ؟
هل أتى وشقيقه ؟

لنوكس : لم يجئ سيدى على التحقيق .

فسجل الأشراف عندى جميعاً :
ابن سيورد مُثبتٌ ،
وكثير من شباب غض الإهاب غرير ،
أقبلوا الآن يبتغون دليلا
من بواكير بيِّنات الرجولة .

منتيث : ليت شعرى ماذا يعد الطاغى ؟

كيثنس : هو يبنى الحصون بالغة القوة
فى قصر دنسنان العظيم .
ومن الناس من يقول لقد جُن ،
ومنهم من كان أهون بغضاً ،
فيسميه هائجاً مستميتاً .
غير أن اليقين فى الأمر
أن الحال آلت إلى اضطراب وفوضى ،
فهو لا يستطيع شد عراها
فى نطاق النظام والسلطان .

أنجوس : إنه الآن قد أحس
بأن القتل فى السر لاصق فى يديه .
وهو الآن كل حين يرى الثورات
تنعى عليه نقض عهوده .

فإذا انقاد بعضهم
فيسيرون انقياداً لأمره لا لحبه .
إنه الآن قد أحس
بأن الملك يهوى من حوله فضفاضاً ،
كرداء العملاق يلبسه اللص
قميئاً فى قامة الأقزام .

منتيث : وإذن من يلوم إحساسه المرهق
إن رُجَّ أو عراه انتفاض .
منذ أضحى وكل ما فى حناياه
شهيد على إدانة نفسه ،
منكراً كونه هناك .

كيثنس : فهيا ،
نمض فى السير نحو من يملك الطاعة حقاً
نعطيه فرض الإطاعة .
ونلاقى طبيب مصلحة الأمة
ذات الأوجاع والأسقام ،
وإلى جنبه نصب جميعاً
من حشاشاتنا لآخر قطرة ،
فى دواء مسهل للبلاد

لنوكس : أو نصب القدر الذى يقتضيه الأمر
في رى زهرة الإصلاح ،
أو لإغراق فاسد الأعشاب .
فهلموا نسر إلى برنام :

(يخرجون فى سير عسكرى)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

دنسنان . غرفة فى القصر . يدخل مكبث وطبيب وأتباع .

مكبث : قلت لا تحملوا إلى تقارير سواها ،
بل اطرحوها هواء .
لن أعانى خوفاً ، سوى حين يسعى
غاب برنام قاصداً دنسنان .
أى طفل ملكولم هذا ؟
أما كان وليداً من ولد إحدى النساء ؟
طمأنتنى الأرواح ممن لها العلم
بغيب المقدور للناس طرا .
هكذا قولهن : « لا تخش مكبث .
إنه لن يكون فى الناس
ممن وضعته النساء بالميلاد ،
رجل يستطيع قهرك يوماً » .
وعلى ذاك فلتولوا فراراً
أيها الغادرون من أمرائى .
واصحبوا الإنجليز أتباع بيقور .
فعقلى الذى به سلطانى ،
وفؤادى الذى تضم ضلوعى ،

أبد الدهر لن يلينا لَشك ،
أو يصابا برعدة لمخافة .

(يدخل خادم)

أيهذا ! أنّى أتيت بهذا الشكل
شبه الإوز يا منحوس ؟

الخادم : إن عشراً من الألوف . . .
مكبث : إوزًّا أيها الوغد ؟
الخادم : سيدى بل جنود .
مكبث : رح فدغدغ أديم وجهك ،
وامسح بطلاء من حمرة فوق خوفك .
أى جند يا أيها الأحمق الملتاث ؟
يا أيها الفتى الرعديد .
كبد فيك تشبه الزئبق الأبيض ،
لا كنت والهلاك لروحك !
إن هذا كتان خديك يوحى الرعب ،
ماذا تكون تلك الجنود ؟
أنت يا وجه سائل اللبن الرائب .
الخادم : عفواً — كتائب الإنجليز .
مكبث : امض من ها هنا بوجهك ، (يخرج الخادم)

سيتن ! – إننى مدنف بأعماق قلبى
إذ أرى – سيتن استمع ! –
ذلك الزحف مؤد إلى دوام سعودى ،
أو مزيلى عن مقعدى من فورى .
عشت دهراً . كفى ! وأدّى سبيلى
فى حياتى إلى الأوان الجديب ،
نحو صُفْر الأوراق ؛
فى حين أنى لست أرجو ما ينبغى للمشيب .
أين منى التشريف والحب والطاعة ؟
أين الجنود من أصفيائى ؟
قد تبدلت من أولئك باللعن عميقاً ،
لكنه لا يُبين .
وبلفظ الأفواه تزجيه للمدح ،
هواء يجرى مع الأنفاس .
فيود القلب المعذب لو أنكر
لكن لا يستطيع سبيلا .
سيتن اسمع ! (يدخل سيتن)

سيتن : أصدر مشيئتك السمحة .

مكبث : ماذا استجد من أخبار ؟

سيتن : سيدى قد تأكد القول
فيما جاءنا كله من الأخبار .

مكبث : سوف أمضى فى الحرب حتى يُفَرَّى عن عظامى لحمى
فهات دروعى .

سيتن : لم يحن بعد الاحتياج إليها .

مكبث : فلأضعها على . أخرج من الخيل مزيداً ،
واستطلع الأرض حولك .
واشنق المرجفين . هات دروعى .
— كيف حال المريض يا دكتور ؟

الطبيب : سيدى ما بها شكاة من الداء ،
على قدر ما بها من شجون ،
بعثتها بها جحافل أوهام ،
حمت عينها ورود الرقاد .

مكبث : داوها من شجونها .
أفلا تستطيع طباً لداء عقل مريض ؟
أفلا تستطيع نزعاً لما استأصل فى ذكرها من الأحزان ؟
وتعفى من صفحة الذهن
ما خطت عليها متاعب الأشجان ؟
ثم تزجى لها بجرعة ترياق مُحَلَّى

هدية النسيان .

فيزيل الدواء عن صدرها المشحون

داء مهدداً للكيان ،

هو عبء لقلبها .

الطبيب : ليس إلا أن يطب المريض فيه لنفسه ،

مكبث : فاطرح الطب للكلاب إذن ،

لم تبق عندى من حاجة للطبيب .

– سوِّ درعى على . أقبل وناول صولجانى .

يا سيتن اخرج بجنودك .

– أترى يا طبيب كيف يولى أمرائى عنى ؟

– هلم سريعاً .

– ولئن كنتَ يا طبيب خبيراً ،

مستطيعاً تحليل ماء بلادى ،

لترى داءها وتنزحه عنها

فتُشفى وتستعيد قواها ،

لتعالى إذن ثنائى على فضلك

حتى يعود لى أصداء ،

لبرد الشتاء ضعفاً معاداً .
– قلت نح الدروع عنى سريعاً .
– أى شىء من العقاقير
كالرُّب ومثل السنا وأخرى سواها ،
أو من المسهلات ، تنزح عنا
علة الإنجليز ؟ تسمع عنهم ؟

الطبيب :قد سمعنا يا سيدى السمح عنهم
مذ رأينا تجهيز مولاى جنده .
فدعانا هذا إلى سمع شىء

مكبث (لسيتن) : هاتها ! واتبع مسيرى ،
فإنى لست أخشى موتاً ولا تدميراً ،
قبل أن تستقل غابة برنام ،
وتأتى سيراً إلى دنسنان .

الطبيب (لنفسه) : أنا لو كنت مطلق القيد حراً
وبمنأى عن دنسنان بعيد ،
لتأبى على المكاسب إغرائى
على عودتى هنا من جديد . (يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

ريف بجوار غابة برنام . طبول وأعلام . يدخل ملكولم والشيخ سيورد وابنه ومكدف ومنتيث وكيثنس وأنجوس ولينوكس وروس وجنود يسيرون عسكرياً .

ملكولم : يا بنى العم علَّه آن للأيام
تأمين كل حى بسربه .

منتيث : ما شككنا فى ذاك

ملكولم : ما هذه الغابة صوب اتجاهنا ؟

منتيث : غاب برنم .

ملكولم : انزعوا أيها الجنود من الغابة
كلٌّ غصناً من الأغصان .
وليكن حملكم لها من أمام .
وبهذا نُخفى عداد قوانا
ونُعَمِّى طلائع الكشاف ،
ليضلوا فيما يقولون عنا .

الجنود : إننا فاعلون ذلك توًّا .

سيورد : ما علمنا شيئاً عن الظالم الواثق فى نفسه

سوى اطمئنانه ،
مستقراً فى دنسنان
ولا يشعر بأساً فى أن نحاصر قصره .

ملكولم : هو أقصى ما عنده من رجاء
إنه كلما تهيأت الفرصة
للناس سوقة أو شريفاً ،
هيأوا ثورة عليه ،
وما من عامل عنده سوى أدوات ،
إن تكن سخرت له فهى تنساق
وما فى صدورها من فؤاد .

مكدف : فلندع حكمنا الصحيح
إلى أن تتجلى حقائق الأحداث
وعلينا أن نبذل الجهد فى الإعداد للحرب .

سيورد : ساعة الفصل تدنو ،
وهى تقضى بالحق فينا ،
فندري أى قول لنا وأىٌّ علينا .
كل ظن ، وكل رجم بغيب ،
إنما يرويان خدع الأمانى ،

والذى تنجلى العواقب عنه
ينبغى أن يكون حكم الطعان .
فليبادر إليه زحف القتال .

(يخرجون فى سير عسكرى)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

دنسنان . داخل القصر . يدخل مكبث وسيتن وجنود . طبول وأعلام

مكبث : علقوا من بنودنا

فوق أقصى الجانب الخارجىّ فى الأسوار .

صيحة اليوم ما تزال « لقد جاءوا » ،

فدعهم يأتوا هنا ليقيموا ،

ربّما يصبحون للجوع والحمى طعاماً ،

حتى يزولوا جميعاً .

نحن لولا من عززوهم ،

ومن كان لنا عندهم حقوق الولاء ،

لاستطعنا لقاءهم أجرأ الناس عليهم

بلحية ضد لحية .

ولسمناهم الهزائم

حتى يبلغوا أرضهم على الأدراج .

(يسمع صراخ نساء من الداخل)

أى صوت هذا ؟

سيتن : صراخ نساء سيدى السمح (يخرج)

مكبث : كدت أنسى طعم المخاوف ،
يا رب زمان مضى على قديماً ،
كان جسمي قد يقشعر من البرد
إذا ما سمعت صرخة ليل .
كنت للقصة الحزينة يعلو شعر رأسى ،
حتّى تقفّ أصوله ،
مثلما لو يكون فى هذه القصة
حقًّا مشاهدات الحياة .
قد تضلعت من عشاء الفظاعات ،
إلى أن أنست بالأهوال .
ألفتها خواطر الفتك فى نفسى ،
فليست تهز نفسى بحال .
لم كان الصراخ ؟ (يعود سيتن)

سيتن : مولاى ماتت ملكتى .

مكبث : ليتها قضت بعد حين .
عل فيما يكون بعد من الدهر
أوان لمثل هذا الحديث .
بل غد ، بعده غد وغد ،
تحبو بتلك الخطى القصار دبيباً .

تتوالى يوماً فيوماً ،
إلى آخر حرف مسجل للزمان .
كل أمس لنا أضاء لحمقى ،
فى طريق يفضى لموت التراب .
أيها الشمعة الضئيلة بعداً لك بعداً !
فإنما العيش ظل .
كخيال يمشى ، وكاللاعب المسكين
فى مسرح يضج ويزْهى ،
ساعة قدرت له ،
ثم لا يسمع من بعدها مدى الأيام .
إنها قصة يرددها المعتوه ،
صوت وهيجة دون معنى .

(يدخل رسول)

أبهذا قد جئت تستخدم النطق بهذا اللسان .
بادر بقولك .

الرسول : سيدى السمح إن من واجبى إبلاغ أمر
أقول إنى رأيته .
غير أنى لا علم لى كيف يُروى .

مكبث : فليكن سيدى كما شئت . قله .

الرسول : بينما كنت فى الحراسة فوق التل
ألقيت نظرة نحو برنم .
ثم سرعان ما بدا لى كأنى
أبصر الغاب آخذاً فى المسير .

مكبث : أيها الكاذب الزنيم !

الرسول : إذا لم يكن الأمر مثل ما قلت حقّاً ،
فلينلنى نكال ثورة سخطك .
قد نرى ذاك من ثلاثة أميال ،
إذا شئت أن تراه بعينك .
هى فى الحق غابة تتهادى .

مكبث : إن تكن قلت كذبة
فسأدلى بك حيّاً من أقرب الأشجار .
فعليها تذوى وتضمر جوعاً ،
ولئن كنت صادق القول ،
لم أعبأ إذا ما عاملتنى بالمثيل .
آن لى أن أغض من غلوائى فى وثوق ،
وأن أشكك نفسى ،
فى خداع الشيطان بالكذب فى صورة حق ،
إذ قال « لا تخش شيئاً

قبل أن تستقل غابة برنام ،
وتأتى سعياً إلى دنسنان » .
فأنا الآن والحقيقة أن الغاب
يأتى سعياً إلى دنسنان .
السلاح السلاح ! هيا خروجاً !
فلئن كان ما يقول صحيحاً ،
لم يكن لى إلى فرار سبيلا
أو مقام هنا بحصنى طويلا .
إننى كدت أسأم الشمس ،
ليت الكون توًّا بصرحه ينهار .
اقرعوا دقة النفير من الناقوس ،
هبي يا ريح ! زر يا دمار !
سوف نقضى على الأقل ، وما زلنا
بسرج وعدة فى الظهور .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر السادس

دنسنان ، سهل أمام القصر. طبول وأعلام . يدخل ملكولم .
والشيخ سيورد ومكدف وغيرهم وجيشهم يحمل الأغصان .

ملكولم : قد كفى الآن الاقتراب ،
فألقوا ما عليكم من مورق الأستار .
وأبينوا عمن تكونون حقاً .
وتقدم عماه يا صاحب الفضل ،
وخذ نجلك النبيل ابن عمى ،
فتقودان جيشنا فى الطليعة .
وعلينا القيام فى سائر الأمر جميعاً
مع المعظم مكدف ،
وفق ترتيب خطة الميدان .

سيورد : دعواتى بالخير والتوفيق .
وعسى جيشنا يفوز مع الليل
بأن يلتقى بجيش العتى .
ولو انا لا نستطيع قتالا عند هذا ،
فلنستحق الهزيمة .

مكدف : أنطقوا كل ما لدينا من الأبواق ،
أهدوا جميعها أنفاساً .
هذه الصائحات من رسل الموت
وسفك الدماء .

(يخرجون ويستمر صوت النفير)

الفصل الخامس

المنظر السابع

جزء آخر من الميدان ، يدخل مكبث . أصوات نفير .

مكبث : إنهم هؤلاء شدوا وثاق ،
مثل دب لا أستطيع فراراً .
غير أنى كالدب لا بد أن أصمد
للحرب فى نزال عدوى .
أين من لم تلده أنثى ؟
فهذا وحده من أخافه لا سواه .

(يدخل سيورد الصغير)

سيورد الصغير : أنت ما اسمك ؟

مكبث : ليفزعنك سمعه .

سيورد الصغير : لا أبالى ولو تسميت باسم
هو أحمى من كل ما فى السعير .

مكبث : هو مكبيث

سيورد الصغير : ما لإبليس لو نادى ، مسمى أشد مقتاً لسمعى .

مكبث : لا ولا ما يكون أكثر هولاً .

سيورد الصغير : قلت كذباً يا أيها الظالم الممقوت ،
إنى لمستطيع بسيفى

أن أقيم البرهان فى كذب قولك .

(يتقاتلان ويقتل سيورد الصغير)

مكبث : أنت هذا تمخضت عنك أنثى .
غير أنى للسيف أبسم ،
بل أنى لكل السلاح أضحك سخراً ،
إن يكن من يَهزُه لطعانى ،
رجلا قد تمخضت عنه أنثى . (يخرج)

(صوت نفير ويدخل مكدف)

مكدف : من هنا هيعة القتال .
تقدم أيها المستبد واظهر بوجهك .
إنه لو قتلت من غير طعنى ،
لاحقتنى أرواح زوجى ووُلدى .
لست أسطيع أن أنازل بالسيف
مشاة من كل رث حقير ،
من جنود لهم سواعد تستأجر
فى حمل ما لهم من هراوى .
أنت مكبيث بغيتى ،
أو أرد السيف فى غمده بغير قتال ،
حده لم يفل من ضرباته .

أنت لا بد ها هنا ،
حيث تعلو صيحة مثل صيحة التكريم ،
لعظيم فى الشأن جد عظيم .
أيها الحظ واتنى كى ألاقيه
وما لى من بعد هذا رجاء .

(يخرج . صوت النفير مستمر . يدخل ملكولم والشيخ سيورد) .

سيورد : من هنا سيدى .
قد استسلم القصر ولم يبد فى القتال دفاعاً .
ورعايا الطاغى يحارب بعض ضد بعض
فى الجانبين جميعاً ،
حين يبلى أشرافنا الصيد فى الحرب
بلاء البواسل الأبطال .
أوشك اليوم أن يجاهر بالنصر ،
ويوليك بيعة الإقبال .
لم يعد فيه غير شىء يسير .

ملكولم : نحن كنا نلقى عدواً يحيد الطعن عنا

سيورد : مولاى هيا لقصرك . (يخرجون ويستمر صوت النفير)

الفصل الخامس

المنظر الثامن

ناحية أخرى من الميدان . يدخل مكبث .

مكبث : لمَ أحذو حذو الغبي من الروم[1] ،
فأقضي نحبي على حد سيفي ؟
إن تراءى الأحياء لى ، كان أولى
أن تكون الطعان فى غير جسمي .

(يدخل مكدف)

مكدف : التفت لى يا كلب نار السعير ، التفت لى !

مكبث : أنت دون الرجال كنت تحاميتك ،
هلاّ انصرفت عنى ! هلاّ !
إن روحى تملأت منذ حين ،
بدم من ذويك نهلا وعلاّ .

مكدف : ليس عندى لفظ ، ولكن صوتى فى حسامى ،
يا أسفل الأوغاد .
أنت فى السيئات أدنأ

---

(١) هذه إشارة إلى عادة قواد من الروم مثل بروتس إذ يقتلون أنفسهم بسيوفهم عند الهزيمة الماحقة .

من أن تتقصى ما فيك كل النعوت .

(يتقاتلان)

مكبث : أنت هذا ضاعت هباء جهودك .
فإن اسطعت أن تخلف إثراً باقياً
من حسامك البتار ،
فى أديم الهواء ، وهو على القطع عصىّ ،
لا يستطاع انصداعه ،
كان سهلا عليك بالمثل ،
أن تجعل جسمى تبضّ منه دماؤه .
فالتمس موقعاً لسيفك فى هامات قوم
ترى إليها سبيلا .
إنما هذه الحياة التى أحمل
معصومة بسحر حصين ،
ما لها أن تُنال يوماً لمن كان وليد النساء .

مكدف : فايأس بسحرك .
واجعل الجِنّة التى طالما كنت لها خادماً
تنبّيك حقّاً :
إن مكدوف كان أُخرِج نزعاً
قبل حين الميلاد من بطن أمه .

مكبث : لعنات على لسانك هذا !
حين يفضى بمثل هذا إليّه .
فلقد ضعضع العزيمة عندى
فى أجل الأعضاء للإنسان .
ليس لى بعدها رجوع إلى تصديق
تلك الأبالس الخداعة .
حاورتنا بمعنيين ،
وأوفت سمعنا حظه من الألفاظ ،
وأخلت بوعدنا فى الأمانى .
– إننى لست أستسيغ قتالاك .

مكدف : وإذن يا جبان سلّم ، فتحيا
للورى معرضاً محط العيون ،
سوف نبقيك مثل أندر مسخ
عندنا من غرائب الحيوان .
صورة تحتها نخط « هلموا ها هنا
فانظروا إلى الطاغوت » .

مكبث : أنا آبى التسليم ، لا ألثم الأرض
ودونى مواطئ الأقدام ،
عند ملكولم الصغير ، وحولى

رجمات من لعنة الدهماء ،
فلئن كان غاب برنام قد أقبل
يسعى حقًّا إلى دنسنان ،
وإذا كنتَ أنت — من تقف الآن
حيالى ، ولم تلدك النساء ،
فسأمضى برغم هذا إلى آخر شوطى ،
ها قد قلبت مِجَنِّى ، دون جسمى .
فويك يا مكدوف !
ولتكن لعنة على من ينادى أولا :
« حسبنا ! كفانا قتالا ! »
(يخرجان وهما يتقاتلان وتستمر أصوات النفير)

(العودة — دقات طبول حربية . يعود مع طبول وأعلام ملكولم
والشيخ سيورد وروس وأمراء وجنود)

ملكولم : ليت أصحابنا الذين افتقدناهم
يعودون سالمين إلينا .

سيورد : بعضهم لا مفر يذهب عنا .
غير أن الذين أبصر دونى ،
لدليل أنا بذلنا زهيداً ،
واشترينا يوماً كهذا مجيداً ،

ملكولم : إن مكدوف ما يزال فقيداً ،
وابنك السيد النبيل كذلك .

روس : سيدى إن نجلكم رد ديناً
كوفاء بذمة الجندية .
لم يعش فى الحياة إلا إلى أن صار
فيمن يعد بين الرجال ،
فتجلى ولم يكد عن كمال ،
أيدته جسارة الأبطال ،
فى المجال الذى يقاتل فيه ،
لم تزعزعه هيبة فى القتال .
وشيكاً قضى كموت الرجال .

سيورد : فإذن مات

روس : أى نعم ، وحملنا بعد جثمانه من الميدان ،
لا تقيسن ما يثير الأسى فيك
على قدر شأنه وجلاله ،
أو فلن ينتهى الأسى لنهاية .

سيورد : أو كانت جراحه من أمامه ؟

روس : أى نعم فى الجبين كانت جراحه .

سيورد : وإذن فليكن من الجند لله ،

ولو كان صبيتى عدّ شعرى ،
لم تكن لى أمنية أن ينالوا
ميتة قد تكون أبهى وأسنى .
هكذا دق نعيه ناقوسه .

ملكولم : لجدير بنا المزيد من الحزن ،
ومن أجله سأذرف دمعى .

سيورد : ما جدير به المزيد ، فقد قالوا مضى باسلا
وسدد دينه .
ولهذا يرعى الإله جواره .
ها هنا جاءنا عزاء جديد

(يعود مكدف يحمل رأس مكبث)

مكدف : يا مليك البلاد تحيا ، فهذا أنت
قد صرت مالكاً للبلاد .
فتأمل مكان هامة هذا المدّعى الملك ،
يا لها من لعينة !
إن عهد التحرير عاد ،
وهذا أنت يلتف جوهر الملك حولك .
ناطقاً فى ضميره بتحاياى ،،
فأرجو من صوته أن ينادى !

مع صوتى « يحيا ملك إيقوسا » !

الجميع : يحيا ملك إيقوسا !

ملكولم : لا نبذر فى وقتنا قبل أن نحسب
آلاء حبكم أفراداً ،
ونؤدى حقوقكم بالسوية .
يا قيولى ويا بنى أعمامى !
لتكونوا فى منصب الإرل منذ الآن ،
فى صدر من تسمى إيقوسا
ليفوزوا بمثل تلك الكرامة .
وعلينا من بعد ذلك أن نبدأ
غرساً لبدء عهد جديد ،.
مثل أن نستعيد من كان قد شرد
من أصدقائنا فى البلاد .
هؤلاء الذين ولوا فراراً
حذراً من حبائل الطغيان .
ثم أن نلفظ الجبابر
ممن قد تولوا مقالد الأحكام ،
مع هذا السفاكة الميت
والملكة شبه المريدة الشيطانة .

هذه الملكة التى قيل عنها
أزهقت روحها بعنف شديد ،
أوقعته بنفسها ويديها .
إن هذا وما إليه من الأمر الضرورى
قد دعانا مهيباً .
وسنمضى فى كل هذا بإذن الله ذى اللطف
كى ندبر أمره ،
من زمان ومن مكان وقدر .
وختاماً نوجه الشكر للجمع جميعاً ،
وكل شخص بشخصه ،
ثم ندعو كلا إلى قصر إسكون ،
يرانا فى حفلة التتويج .

(عزف موسيقى ، ويخرجون)

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر

مكبث

« مكبث » هى إحدى روائع الشاعر العظيم شكسبير ، وإحدى بدائع الأدب العالمى . وها هى ذى فى هذا الكتاب يترجمها الكاتب الكبير محمد فريد أبو حديد بنصها الكامل فى شعر مرسل جيد ، فيجلو حالة النفس الطموح حين تتخلى عن المثل العليا والأخلاق الرفيعة لتنطلق إلى حيث تقودها شهواتها ، وتستبد بها نزواتها وتنساق مع مطامعها انسياقاً أعمى يدفعها إلى الهاوية وارتكاب أبشع الجرائم لهثاً وراء أمجاد زائفة وخيالات كاذبة .

